الشيخ فوزي آل سيف

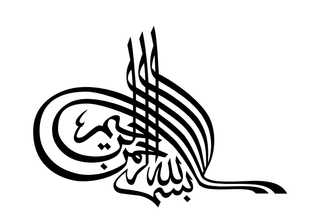
الإمام علي

وجه الإسلام الحضاري

توزيع مؤسسة المرحوم محمدتقي آل سيف الثقافية

mohamedtaqi@al-saif.net

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م



الحمد لله رب العـالمين والـصلاة والـسلام عـلى

أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطاهرين

بين يدي القارئ والقارئة

تبقى سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وصفاته الشخصية متألقة، وبالرغم من تمادي السنوات، بيننا وبين تاريخ حدوثها إلا أن ذلك لم يؤثر في وهجها، ولم يُضعف جاذبيتها.

ولا يختص هذا بفئة دون أخرى، فالعابد يرى في أمير المؤمنين أعظم صور العبودية والانقطاع إلى الخالق، والثائر الإصلاحي يرى فيه تلك الروح المتحفزة الوثابة التي تتحدى الظلم والظالمين، والحاكم الصالح يرى فيه ذلك العادل الذي لا يستطيع أن يسلب نملة جلب شعيرة!

وكان أن جمع في ذاته الصفات الحسنة، وما يضادها ويعاندها من الخصال الجميلة، التي لا تجتمع عادة في شخص، وما أحسن ما قاله صفي الدين الحلي:

جمعت في صفاتك الأضداد فلهــذا عــزّت لــك الأنــداد

زاهد حاكم حلـيم شجــاع ناســك فاتــك فقــير جــواد

خلق يشبه النسيم مـن اللـ ـطف وبأس يذوب منه الجلاد

شيم ما جمعـن في بـشر قـط ولا حـــاز مـــثلهن العبـــاد

وهذا الكراس هو مجموعة أحاديث ألقيت في ليالي شـهادة أمير المؤمنين عليه السلام من شهر رمضان المبارك في سنوات متعـددة في بلادنـا، أحببـت أن تُجمـع وتُقـدم للطبـع، فـإن وجـد فيهـا القارئ الكريم فائدة جديـدة فـذاك مـن فـضل الله، وإلا فهـي تذكير جديد، وهـي مناسـبة أتطلـع مـن خلالهـا إلى ثـواب الله سـبحانه ورضـاه بـذكر أوليائـه. وأهـدي ثـواب هـذا العمـل لوالديَّ رحمهما الله تعالى.

فوزي آل سيف

ربيع الأول ١٤٢٦هـ

تاروت ـ القطيف

وجه الإسلام الحضاري

المراقب للساحة الثقافية يرى أن هناك أكثر من طريقة للحديث عن شخصيات المعصومين، ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام، سوف نتعرض هنا إلى طريقتين:

الطريقة الأولى

هي الطريقة المغرقة في الجانب الغيبي، والمؤكدة على أن حياة المعصومين هي سر الأسرار، وغيب الغيوب، وأننا لا نستطيع أن نعرف حياتهم ومقاماتهم العالية مهما حاولنا في ذلك.

تعتمد هذه الطريقة ـ لإظهار فضل المعصوم ـ على التركيز على الجانب الفضائلي المتصل بالأمور الخارقة والغيبية. وتركز على الجانب التكويني في خلق المعصوم، وأنه ممَ خُلق، وأن طينته وبدنه وقوته من نحو آخر غير ما هو موجود لدى عامة الناس، وأن دمه مثلا كذا..

وهذه الطريقة تستفيد من بعض الكلمات المتداولة، كما هو الحال بالنسبة إلى الرواية «ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا»[1].

ولهذه الطريقة جانب إيجابي وهو الوقوف في وجه خطوط التقصير التي صورت حياة المعصومين كأفراد عاديين على مستوى الفضيلة، وكغيرهم على مستوى المرجعية الدينية والعلم الإلهي، وبالتالي تم عزلهم عليهم السلام عن التأثير في الأمة، وتم فصل الأمة عن التأثر بهم، وهذا المسار التاريخي بين عينيك، بل والواقع المعاصر أمامك. فكانت هذه الطريقة وما يرتبط بها ردا على ذلك التقصير.

---

(١) في مختصر بصائر الدرجات مرسلا وفي مدينة المعاجز والبحار كذلك وفي مناقب آل أبي طالب كذلك مع تغيير: يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري. ومع غض النظر عن الجهة السندية في هذه الرواية فإني لم أجدها مسندة في مصدر من المصادر، فإنه لا بد من حملها على المعرفة الكاملة وحق المعرفة كما صنع ابن شهراشوب في المناقب، وإلا فإن المعرفة الواجبة على العبد تجاه ربه ونبيه وإمامه، هي ممكنة وواقعة، ولذلك كان التكليف بها، وإلا فلو لم تكن ممكنة فلا معنى للتكليف بها.

إلا أنه قد ينتج عن هذه الطريقة آثار سلبية منها:

- أن ذلك قد يفتح الخط أمام دعاة الغلو والارتفاع، كما حصل بالفعل، فإن بعض الجهات التي توصف بالغلو في الساحة الشيعية اليوم، وتُنتقد في ذلك من قبل الأكثرية الموالية، لم تعتمد إلا على ظاهر بعض الروايات هذه.

وذلك أن هناك خيطا دقيقا جدا بين الاعتراف بمقاماتهم عليهم السلام وهي مقامات عالية لا ريب، وبين مشكلة الغلو والارتفاع يخفى على الكثيرين لا سيما غير الواعين الناس والجهلة منهم فإنك «لا ترى الجاهل إلا مفرطا أو مفرّطا»[1].

- والأثر السلبي الآخر: أن الإغراق في هذه الطريقة ـ وهو أمر محبَّب للنفس كما سيأتي ـ يوسع المسافة والفاصلة بين

(١) يراجع للمؤلف كتاب: الحياة الشخصية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فصل: عوامل نشوء الغلو: عدم المعرفة أو المعرفة الناقصة. والروايات المتشابهة. ومصلحة الغلاة.وردة الفعل تجاه مظلومية أهل البيت.. وغيرها.

المعصوم كقائد يجب إتباعه والسير على منهجه وبين المكلَّف.. وذلك ضمن عملية تفكير سريعة يقوم بها الإنسان المكلف؛ فيرى حياة المعصوم بما يحيط بها من (الاستثنائية) في البدن والروح، والاتصال بالله، والممارسة العامة.. ويرى نفسه خاليا عن كل ذلك، فيوحي إلى نفسه أنه عاجز عن تمثل المعصوم، وغير حري بأن يسلك مسلكه، ويقف موقفه.

وكأن هناك علاقة تعاكس يصنعها الشخص بين علو منزلة المعصوم، ورفعته، وأنه من جنس ما فوق البشر، وبين الاقتداء به، فكلما زاد ذلك الجانب تراجع هذا الجانب.

لماذا يحبذ الكثير هذه الطريقة؟

هناك أسباب متعددة تحدو الكثير للالتزام بهذه الطريقة في الحديث عن المعصومين عليهم السلام وعرض حياتهم، منها:

❁ شعور المتحدث بأنه ينتصف للمعصوم، وينتصر له في مقابل خط التقصير والإقصاء لأهل البيت.. سواء على

مستوى التاريخ أو الحاضر. وكأن ذلك رد فعل معاكس، في عملية تعويض. وخصوصا إذا ترافق هذا مع إقصاء للأتباع وظلم لهم، فإنهم يتمثلون الماضي في الحاضر، ويزيدون من (جرعة) الصفات والمقامات!

❁ فخر للذات وانتصار بالشخصية: وكأن الفرد في هذا الزمان يريد أن يضيف إلى مجده مجدا، فيعظم من شأن متبوعه ويرفعه إلى أعلى الدرجات، حتى يحوز الفخر لنفسه، وأنه ما دام ينتمي إلى هذا العظيم شأنا فإنه ـ بتبع ذلك ـ يكون عظيما ووجيها و..

إن هذه الطريقة لا تكلف الشخص شيئا، بخلاف الطريقة الأخرى التي سيأتي الحديث عنها، وذلك أن الحديث عن عظم منزلة المعصوم، وارتفاع شأنه لا يستتبعه بالضرورة حديث عن لزوم إتباعه والارتفاع إلى مستواه.. بل ربما كان العكس ولهذا تجد قسما من الناس يكررون كلام الإمام علي عليه السلام: «وإنكم لا تقدرون على ذلك» ويتركون باقي

الكلام «ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»، يكررون الأول وكأنهم يعتذرون بذلك عن أن حياتهم ليست على منهاج أمير المؤمنين وقد أخبرهم بأنهم لن يستطيعوا ذلك!

❁ هناك ربط غير صحيح بين الارتفاع والزيادة في ذكر المقامات والمناقب والفضائل، وبين قوة الولاء والانتماء.. هذا الربط غير الصحيح يجعل المتكلم بهذه الطريقة عند الناس أكثر إيمانا وأشد ولاء، وأما الذي يتحدث عن أدوارهم الحضارية، وإسهامهم العظيم في نشر الدين وأحكامهم..فلا يصل إلى تلك المنزلة من الإيمان! ومع الأسف فإن هذا كان من مداخل الجهل في ثقافتنا الدينية! فيأخذ المستمع والقارئ كل ما يقال من كلام في مقامات الأئمة فلا مانع منه! بينما هذا مقيد بسائر الروايات التي تمنع من الفرية واصطناع الحديث، وتمنع أيضا من نسبة ما يخالف شأنهم إليهم.

بل وصل الحال إلى حد أن من يناقش في بعض الروايات، سندها أو دلالتها، فيخالف المألوف، ويستدل على مخالفته لا

يخرج بجلد سليم! فامتنع الكثير من خوض هذا البحر المائج، واحتفظوا بأفكارهم لأنفسهم، فحُرِم الناس من علم كثير وتحقيقات رصينة مع الأسف.

الطريقة الثانية: الحضارية الشاملة

وتنتهي هذه الطريقة إلى أن المعصومين عليهم السلام أئمة حق وهدى، كان لهم جانب اتصال بالله سبحانه، فقد اصطفاهم بعلمه، واختارهم لوحيه وجعلهم أدلاء على صراطه ومنارا في بلاده وعصمهم من الزلل وآمنهم من الفتن..ولكنهم في النهاية ﴿بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، يجري عليهم ما يجري على سائر البشر من ألم ومعاناة وظروف سهلة وأخرى صعبة، ولهذا كانوا قدوات، وهداة.

المقامات التي كانت لهم لم تمنع أن يجري عليهم قضاء الله وقدره. واتصالهم بالغيب لم يجعلهم يمارسون الغيب كطريقة حياة في الحضور!

وإنما كان الغيب في حياتهم استثناء قليلا تقتضيه الحكمة أحيانا، في إظهار جانب الاتصال ذاك وأما القاعدة التي كانت تسير عليها حياتهم فهي الحياة الطبيعية، والاعتيادية.

لقد عاش رسول الله ﷺ ما بين البعثة إلى رحيله للقاء ربه قرابة خمس وعشرين سنة، عايش خلالها بداية الدعوة الإلهية بكل صعوباتها وتعرض للتشريد والأذى ومحاولات الاغتيال، وجاهد في الله حق جهاده عبر عشرات الغزوات والمعارك، إلى أن أظهر الله دينه به، ولا يرتاب أحد في مقامات النبي ﷺ، ومنازله العليا، ولكنه خلال هذه الفترة الطويلة لم (يستعمل) هذه المنازل في جهاده، ولا تلك المقامات في حركته، لقد كان يجوع حتى يشد حجر المجاعة على بطنه، وبيده لو أراد خزائن الأرض! وكان يعيش الصراع والقتال (مع صناديد العرب وذؤبانهم) ويبوئ المؤمنين ـ فجرا ـ مقاعد القتال، ولم يلجأ حتى إلى الدعاء على العدو الكافر بأن يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.. فلا يدع ﴿عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

وهذا ما يفتح لنا بابا في طريقة معرفة حياة المعصومين عليهم السلام، وفي طليعتهم أمير المؤمنين عليه السلام ويبين لنا أن تلك الحياة الشريفة - بالرغم من مراتب صاحبها العالية في رتبة ذاته، واتصاله بالغيب إلا أنها - لم تكن تدور ضمن هذه الدائرة.

ونعتقد أن هذه الطريقة هي نفسها التي تحدث بها القرآن الكريم عن أنبياء الله وأوليائه، وتحدث من خلالها القرآن الكريم عن شخصية أمير المؤمنين وأفعاله[1]، مما هو محل اقتداء وتأس واتّباع، فهو يتحدث عنه بما هو منفق بالليل والنهار، والسر والإعلان، وبما هو مؤمن بالله ومجاهد في سبيله، وهو الراقي في إيمانه حتى يكون خير البرية، وفي طليعة الذين آمنوا وعملوا الصالحات..

وعندما تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أمير المؤمنين عليه السلام، أظهر هذه الجوانب الرسالية والنموذج الحضاري الذي صنعه

---

(١) راجع في هذا الكتاب: حين تحدث الكتاب الصامت عن الكتاب الناطق.

ﷺ، في من صار عنده ﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ حتى عاد شهيدا، واكتفى الرسول ـ بعد الله ـ به.

وأصحابه عرفوا فيه تلك الصفات الرائعة التي عرفوا فيها وجه الإسلام الحضاري الرائد، فهذا ضرار بن ضمرة يصفه بما هو مشهور:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن. كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استفتيناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له. يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القويّ في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا

غري غيري أ بي تعرضت أم إلي تـشوقت هيهـات هيهـات قـد باينتك ثلاثا لا رجعة لي فيها فعمرك قـصير وخطـرك حقـير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق[١].

وهذا صعصعة بن صوحان العبدي يتحدث عنه بما عرفـه عن صفاته فيقول ـ وقد وقف على جثمانه ـ:

هنيئا لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحـت تجارتـك، وقـدمت عــلى خالقــك، فتلقــاك الله ببــشارته، وحفتــك ملائكتــه، واستقررت في جوار المصطفى، فأكرمك الله بجـواره، ولحقـت بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فاسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت مـا لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركـه أحـد، وجاهـدت في سـبيل

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ج ١٨ ص ٢٢٥

ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده، وقمت بدين الله حق القيام، حتى أقمت السنن، وأبرت الفتن واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام، بك اشتد ظهر المؤمنين، واتضحت أعلام السبل، وأقيمت السنن، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك، سبقت إلى إجابة النبي ﷺ مقدما مؤثرا، وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك كل ذي بأس شديد وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئا لك يا أمير المؤمنين، كنت أقرب الناس من رسول الله ﷺ قربا وأولهم سلما، وأكثرهم علما وفهما، فهنيئا لك يا أبا الحسن، لقد شرف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ نسبا، وأولهم إسلاما، وأوفاهم يقينا، وأشدهم قلبا، وأبذلهم لنفسه مجاهدا، وأعظمهم في الخير نصيبا، فلا حرمنا الله أجرك ولا أذلنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتح

للخير ومغالق للشر، وإن يومك هذا مفتاح كـل شر ومغـلاق كل خير، ولو أن الناس قبلوا منـك لأكلـوا مـن فـوقهم ومـن تحت أرجلهم، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة[1].

ومثل ذلك ما نسب إلى الخضر.

فأنت تلاحظ عزيـزي القـارئ، أن هـؤلاء مـع إدراكهـم لمقامات أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنهم يجـدون في هـذه الـصفات التي هي صفات الفعل والممارسة، الوجه الذي يلزم أن يُعلـن، والفكرة التي ينبغي أن تُشرح، والصورة التي ينفع أن تُبين.

لقد وجد هؤلاء في علي عليه السلام صورة الإسلام كاملة، مـن خلال حياة الإمـام الفرديـة، والأسريـة ومـن خـلال علاقاتـه الاجتماعية، بل من خلال معارضته الـسياسية ودوره التـاريخي الذي حفظ الدين والأمة، ثم من خلال حكمـه حيـث انتـصر فيه منطق العدل على حالة المـصلحة، ومـنهج الـدين وثوابـت

---

(١)بحار الأنوار ج ٢٤ص ٢٩٥

العقيدة على ضرورات الحكومة!

قد يصعب أن يقدم للناس شيء مجرد، وذلك لأنهم أقرب إلى التجسيد وأقدر على فهم المجسد من المجرد، فكان ينبغي أن يقدم لهم وجه الإسلام في عقيدته، وحضارته.. وهذا ما صنعه رسول الله ﷺ حين قدم للأمة علياً بن أبي طالب، بعد أن رباه وصاغ شخصيته منذ صغره ليكون نموذج، بل ليكون النموذج. أليس «لحمك لحمي ودمك دمي، وسلمك سلمي وحربك حربي»؟

إننا نعتقد أن هذه الطريقة في معرفة المعصوم، والحديث عنه هي الطريقة الأسلم، وذلك لأمور:

ـ إنها كما ذكرنا طريقة القرآن في الحديث عن الأنبياء والأوصياء.. ولو كان غيرها أفضل لكان القرآن يتحدث بتلك الطريقة.

ـ إنها تظهر الصورة الشاملة والمتعادلة للشخصية التي يتم الحديث عنها، فكما أنها تتناول الجانب الفضائلي ضمن حدوده

في حياة الشخصية فلا تتمحض في هذا الجانب، كذلك تتناول الجانب الفردي في صفات الشخص ومزاياه، وتتناول الجانب الاجتماعي، إضافة إلى السياسي.. وكل ذلك يفترض أن يكون بنحو متعادل، فلا يتحول المعصوم عند الحديث عن الحكومة إلى رجل سياسي مجرد من الاعتبارات الأخلاقية والدينية أو رجل دنيا! وإنما يبقى الحديث عن سياسته ضمن دائرة حياته العامة التي تضم باقي الجوانب وضمن إمامته، وضمن اصطفائه من قبل الله سبحانه.

ـ إنها تحاول اختصار المسافة إلى فهم المعصوم وحركته وحياته، تمهيدا للاقتداء به، فبينما تنتهي الطريقة الأولى إلى أننا لا نعرف المعصوم، وأننا لا نستطيع القرب من ذاته، ولا اكتناه أسراره، ويتخذ البعض هذا مبررا للابتعاد عن الاقتداء، تعترف الطريقة الثانية بأن هناك جهات غيبية في شخصية المعصوم، لا يمكن إدراكها إدراكا كاملا، ولكننا لسنا مطالبين أساسا بإدراكها، وإنما نحن مطالبون بإدراك ومعرفة القسم

الأعظم من حياته، وفهم طريقته وسلوكه، والاقتداء به على أثر ذلك. وهذا هو الأمر الذي قام به أصحاب علي عليه السلام الخلص، فعرفوه به وأدركوا شخصيته وهذا الذي دعاهم إلى أتباعه والفوز بذلك الإتباع.

ــ إننا نعتقد أن مسؤولية تعريف العالم بفكر أمير المؤمنين عليه السلام وشخصيته، مهمة للغاية، فإن «الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونا» وهذا لا يحصل إلا من خلال الطريقة الثانية.

ـ إنه بينما تبقي الطريقة الأولى شخصية المعصوم ضمن إطارها كشخصية تاريخية متفردة غير قابلة للتكرار، ولا الحضور في الساحة المعاصرة.. تستحضر الطريقة الثانية شخصية المعصوم باعتبارها المرجعية الدينية، التي يجب على الأمة الرجوع إليها، فلديها العلم والفكر، والهدى.

إن الكثير من المحققين يرون أن النزاع التاريخي على الخلافة في صدر الإسلام، لا معنى لإعادته الآن، وإن الشيء

الذي ينبغي الحديث فيه هو المرجعية الدينية للأمة، حيث يذهب الشيعة إلى أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم مرجعية الأمة، وأن على الأمة أن تتوجه إليهم، فيما يقول غيرهم غير ذلك.

عرض المعصومين ضمن الطريقة الثانية يسهم في بيان هذه المرجعية الدينية، ويسهل طريق الأمة في الوصول إلى المعصومين لو أرادت.

المناقب في نظرة جديدة

لما قبض أمير المؤمنين جاء رجل باكيا حتى وقف على البيت الذي فيه أمير المؤمنين فقال:

رحمك الله يا أبا الحسن كنت أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا، وأشدهم يقينا، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناء وأحوطهم على رسول الله ﷺ وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله ﷺ وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفعلا، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيرا. قويت حين ضعف أصحابه، وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ همّ أصحابه، كنت خليفته حقا، لم تنازَع ولم تضرع برغم المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين، وصغر الفاسقين. فقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم

صـوتا، وأعلاهـم قنوتـا وأقلهـم كلامـا، وأصـوبهم نطقـا، وأكبرهم رأيـا، وأشـجعهم قلبـا، وأشـدهم يقينـا، وأحـسنهم عمـلا، وأعـرفهم بـالأمور. كنـت والله يعـسوبا للـدين، أولا وآخرا: الأول حين تفرق الناس، والآخر حـين فـشلوا، كنـت للمؤمنين أبا رحيما، إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقـال مـا عنـه ضـعفوا، وحفظـت مـا أضـاعوا، ورعيـت مـا أهملـوا، وشمرت إذ اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا. كنـت عـلى الكافرين عذابا صبا ونهبا، وللمؤمنين عمدا وحـصنا، فطـرت والله بنعمائها وفـزت بحبائهـا، وأحـرزت سـوابغها، وذهبـت بفـضائلها، لم تفلـل حجتـك، ولم يـزغ قلبـك، ولم تـضعف بصيرتك، ولم تجـبن نفـسك ولم تخـر. كنـت كالجبـل لا تحركـه العواصف، وكنت كـما قـال: أمـن النـاس في صـحبتك وذات يـدك، وكنـت كـما قـال: ضـعيفا في بـدنك، قويـا في أمـر الله، متواضعا في نفسك، عظيما عنـد الله، كبـيرا في الأرض، جلـيلا عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيـك مغمـز ولا لأحـد فيـك مطمـع ولا لأحـد عنـدك هـوادة، الـضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقـوي العزيـز

عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحق والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم فيما فعلت، وقد نهج السبيل، وسهل العسير وأطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي بك الإسلام، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقا بعيدا، وأتعبت من بعدك تعبا شديدا، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاه، وسلمنا لله أمره، فو الله لم يصب المسلمون بمثلك أبدا. كنت للمؤمنين كهفا وصحنا، وقنة[1] راسيا، وعلى الكافرين غلظة وغيظا، فألحقك الله بنبيه، ولا أحرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى، وبكى أصحاب رسول الله ﷺ ثم طلبوه فلم يصادفوه[2].

أحاديث مناقب وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام يصعب

(١) الجبل المستطيل في السماء.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٥٤.

عدها وهذا بشهادة كبار المحدثين، فقد نُقل عن غير واحد بعدما سئل عن علي عليه السلام فقال: ما أقول في رجل أخفى أصحابه فضائله خوفا، وكتم أعداؤه فضائله حنقا ثم ظهر من بين هذا وذاك ما ملأ الخافقين؟[١]

وقد روي عن أحمد بن حنبل قوله: ما ورد لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح ما ورد لعلي رضي الله عنه[٢].. ولقد صدق القائل[٣]:

---

(١) نسب بعضهم هذا القول تارة لمحمد بن إدريس الشافعي إمام المذهب، وأخرى للخليل بن أحمد الفراهيدي العروضي.

(٢) دراسات في منهاج السنة ـ السيد علي الميلاني ص ٢٥٨ نقلا عن كتاب مناقب أحمد بن حنبل.

(٣) محمد الرشيد الوطواط. ذكره الزركلي في الأعلام ج ٧ص ٢٥فقال:

الرشيد الوطواط (٥٧٣ هـ ـ ١١٧٧ م) محمد بن محمد بن عبد الجليل ابن عبد الملك العمري البلخي، رشيد الدين، أبو بكر الوطواط: أديب، من الكتاب المترسلين. كان ينظم الشعر بالعربية والفارسية. مولده ببلخ، ووفاته بخوارزم. له (تحفة الصديق، من كلام أبي بكر الصديق) و (فصل الخطاب، من كلام عمر بن الخطاب ـ ط) و (أنس اللهفان من

لقد تجمع في الهادي أبي حسن

ما قد تفرق في الأصحاب من حَسن

ولم يكن في جميع الناس من حسن

ما كان في الضيغم العادي أبي الحسن

يعني أن الصفات الخيرة التي توزعت على الأصحاب من علم وفقه أو كرم و شجاعة قد اجتمعت كلها في علي بن أبي طالب. ولو جمعت الصحابة وما ورد فيهم من الفضائل بأحاديث صحاح، وقارنتها بالأحاديث الصحيحة المعتبرة تجد ما ورد في علي بن أبي طالب عليه السلام أكثر مما ورد فيهم مجتمعا.

لعل سائلاً يسأل أنه ما هي ميزة وأهمية تركيز شيعة أهل

كلام عثمان بن عفان) و (مطلوب كل طالب، من كلام علي بن أبي طالب ـ ط) قال صاحب كشف الظنون: رأيت الجميع في مجلد، و (مجموعة رسائل ـ ط) في جزءين صغيرين، و (ديوان شعر) وشعره دون نثره. وله بالفارسية (حدائق السحر في دقائق الشعر ـ ط)

البيت عليهم السلام وتركيز أئمتهم على قضية الفضائل؟

- هناك إجابة تقول: الغرض هو رفع منزلة أمير المؤمنين عليه السلام حيث تعرضت للانتقاص وهو دفاع عن مظلومية أمير المؤمنين ورد الظلم الذي وصل إليه عليه السلام، وقد ظُلم أمير المؤمنين إلى حد أنه لما جاء أعرابي إليه في مسجد الكوفة في أيام خلافته أسر في أذنه: مظلمتك واحدة ومظالمي كثيرة قم نناشد عن مظالمنا.

منذ أن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1] وإلى يوم الناس هذا وهو

---

(١) أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ما زلت مظلوما منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . حتى لقد أثار ذلك مثل الأشعث بن قيس كما نقله في المسترشد ـ محمد بن جرير الطبري (الشيعي) ص ٣٧٠:
حيث سأله الاشعث ابن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين إني سمعتك تقول: ما زلت مظلوما! فما منعك من طلب ظلامتك والضرب دونها بسيفك؟ فقال: يا أشعث منعني من ذلك، ما منع هارون عليه السلام إذا قال لأخيه موسى عليه السلام : ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(طه: من الآية٩٤)، وكان معنى ذلك، أنه قال له موسى حين مضى لميقات ربه إن رأيت قومي ضلوا واتبعوا غيري، فنابذهم،

يعيش في حالة من المظلومية، في إنكار حقه والاستئثار عليه، بل في نفي ذلك الحق، إلى حد أنه أصبح دأب قسم من الناس، فتجده (يجاهد) لإنكار ما ثبت لعلي من فضل ومنزلة، ومرجعية دينية!![1].

ويصل الأمر في الصفاقة إلى إنكار المسلمات التاريخية، مثل ادعاء أن الذي قتل مرحبا وعمرو بن ود ليس علي بن أبي طالب، وإنما قتلهما محمد بن مسلمة الأنصاري.

عندما يُتحدث عن الذي خرج مع رسول الله ﷺ وهو يتوكأ عليه إلى الصلاة في آخر أيام حياته يقال هكذا: وخرج رسول الله يتوكأ على قثم بن العباس ورجل آخر.. لكن لا يروق لهؤلاء أن يذكر علي بن أبي طالب في هذا الموضع، وليس

وجاهدهم، فإن لم تجد أعوانا فاحقن دمك وكف يدك،! وكذلك قال لي أخي رسول الله وأنا فلا أخالف أمره، وما ضننت بنفسي عن الموت فماذا أقول له إذا لقيته؟ وقال: ألم آمرك بحقن دمك وكف يدك، فهذا عذري.

(١) وأمامك مثال واضح في ذلك ابن تيمية الحراني، خصوصا في كتابه (منهاج السنة)!!

هذا الأمر جديدا ولا حادثا وإنما هو ضارب بجذوره[1] في التاريخ الأموي.

الجواب الآخر: أن أحاديث الفضائل تشكل جزء من الدليل على نظرية الإمامة التي يعتقد بها شيعة أهل البيت تبعاً لأئمتهم عليهم السلام.

بعبارة أخرى نحن نعتقد أن النص على إمامة المعصومين، وبالذات أمير المؤمنين منسجم تماما مع أحاديث الفضائل والمناقب، بحيث لو لم يكن الإمام منصوبا من الله أو منصوصا عليه لكان الأمر على خلاف القاعدة، فأن يكون شخص هو باب مدينة العلم، وأن يكون أحب خلق الله إليه بعد نبيه، كما

(١) نقل الإصفهاني في الأغاني عن المدائني: قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب، قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري: اكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر، وما أتممته فقال: اقطعه، اقطعه، قطعه الله مع أصولهم، واكتب لي السيرة. فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فأذكره؟ فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم!! راجع الصحيح من سيرة الرسول الأعظم للعاملي.

هو مفاد حديث الطير وأن يكون ممثلا للإيمان كله في مواجهة الكفر والشرك كله كما هو مفاد قضية الخندق حينما برز لعمرو بن عبد ود. لو لم يكن إماما وخليفة وكان غيره كذلك لكان هذا خلاف القاعدة.

في المقابل أنت ترى أن هناك محاولة اصطناع وانتحال للفضائل قد حصلت، لأجل صنع مشروعية للخلافة التي جاءت بعد وفاة رسول الله.. وتجد على تلك الأحاديث أثر الصنعة، وأنها لا تنسجم مع الخط العام لبعض تلك الشخصيات(١).

فليس الغرض كما يظن البعض أن يتفاخر الأئمة بأن أمير المؤمنين كان شخصا مهما، فما أبعده وأبعدهم عن التفاخر، ولا المراد أن يتحدث الشيعة عن إمامهم بهذه الفضائل حتى يتبين فضلهم هم!! وفخرهم!

---

(١) للمزيد يمكن مراجعة كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة) للمحقق السيد العسكري.

وإنما الغرض أن يتوجه الجميع إلى أن عقيدة الإمامة التي عليها شيعة أهل البيت وهي نظرية النص الإلهي والتعيين، هذه نظرية منسجمة فهناك نص من قِبل الله ورسوله وهناك مميزات شخصية تؤهل هذا الإنسان لكي يفوق من عداه ويسبق غيره.

غير ممكن ـ بحسب قوانين الحكمة ـ أن الله ﷻ ينص على جبان، أو ينص على إنسان قد عبد الأوثان لفترة من الزمان، أو ينص على غير عالم بأحكامه، أو في مستوى غيره من الناس في العلم. إذا كان هناك نص فلابد أن يكون لذلك الشخص الذي لم يسجد لغير الله سبحانه وتعالى طرفة عين، لذلك نحن نعتقد أن أحاديث المناقب والفضائل التي تأتي في أمير المؤمنين منسجمة تمام الانسجام مع نظرية التعيين الإلهي ومع شخصية أمير المؤمنين، هذه الشخصية قد اصطفيت واختص بها وأدبها رسول الله لكي يخلق منها إعجازاً يمشي على الأرض، وبالفعل صنع رسول الله هذه المعجزة.

إذا كانت سائر المعاجز مكتوبة أو مرئية، فهذه معجزة تتحرك وتنطق وهذه معجزة تقاتل وتبين، ولذلك عندما نشير إلى عظمة أمير المؤمنين فإننا بالضرورة نشير إلى عظمة سيده وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه مقالة أحد العلماء من غير الشيعة وهو محمود بن عمر الزمخشري[1] المعروف يقول: «اختص أمير المؤمنين عليه السلام بثمانية

(١) ذكره خيرالدين الزركلي في كتابه الأعلام ج ٧ص ١٧٨ فقال:
محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ ـ ١١٤٤ م): من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والاداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. أشهر كتبه (الكشاف ـ ط) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة ـ ط) و (المفصل ـ ط) ومن كتبه (المقامات ـ ط) و (الجبال والأمكنة والمياه ـ ط) و (المقدمة ـ ط) معجم عربي فارسي، مجلدان، و (مقدمة الأدب ـ خ) في اللغة، و (الفائق ـ ط) في غريب الحديث، و (المستقصى ـ ط) في الأمثال، مجلدان، و (رؤوس المسائل ـ خ) في شستربتى (٣٦٠٠) و (نوابغ الكلم ـ ط) رسالة، و (ربيع الأبرار ـ ط) الجزء الاول منه، و (المنتقى من شرح شعر المتنبي،

عشرة خصلة لم يشركه أحد فيها من جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

طبعاً نحن لا نعتقد بهذا بل نعتقد أن كل صفات علي بن أبي طالب لم يشاركه فيه أحد، سواء من حيث الكم أو الكيف، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحاب شجعان ولكن لا يمكن أن يصلوا إلى مستوى الوقوف على أرض واحدة مع علي بن أبي طالب عليه السلام. كان في أصحاب رسول الله من كان يعلم بعض أحكام القرآن أو يحفظ القرآن ولكن لا يمكن أن يقف على أرض واحدة في القياس والموازنة مع أمير المؤمنين عليه السلام في علمه به كيف وهو الذي ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. ولكن من باب التسليم بما قاله الغير وإلا فكل صفة منه في مقدارها

للواحدي ـ خ) منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام، بالمدينة، رقم ٧٩٥ كتبت سنة ٦٣٣ في ١٣٦ ورقة (كما في مذكرات الميمنى) و (القسطاس ـ خ) في العروض، و (نكت الأعراب في غريب الإعراب ـ خ) رسالة، و (الأنموذج ـ ط) اقتضبه من المفصل، و (أطواق الذهب ـ ط) و (أعجب العجب في شرح لامية العرب ـ ط) وله (ديوان شعر ـ خ).

وكيفيتها كانت تخصه وحده لا يشترك معه أحد. غيره أراد أن يجرب فقط وكانت قضية خيبر التي رجع فيها عدد من أصحاب رسول الله ﷺ يجبن بعضهم بعضا:

يوم قال النبي أني لأعطي رايتي ليثها وحامي حماها

فاستطالت أعناق كل فريق ليروا أي ماجد يُعطاها

فدعى أين صاحب العلم والحلم مجير الأيام من لأواها

وبرى مرحبا بكف اقتدار أقوياء الأقدار من ضعفاها

ودحى بابها بقوة بأس لو حمته الأفلاك منه دحاها

أولية إسلامه وسائر صفاته

اجعل رسول الله ﷺ المعلم والأستاذ والسيد ثم انزل إلى من شئت من أصحابه وقل إن علياً هو الأفضل وهو الأولى والأول.

إن ما يُنحت لغيره من فضائل كانت خاصة بأمير المؤمنين

يكذبها المسار العام لأصحابها الذين نسبت لهم، كما ويرفضها علي نفسه، فيروى عنه كراراً أنه قال: «أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأعظم لا يقولها أحد غيري إلا كاذب مفترٍ أسلمت قبل إسلام أبي بكر وصليت قبل الناس جميعا»[1].

(١) نقل هذا الحديث بتعبيرات مختلفة في كتب العامة والشيعة، منها ما في كنز العمال للمتقي الهندي ١٣/ ١٢٢، حيث قال فيه: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتر، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين) ولقد تحير بعض من يروق لهم التقليل من شأن علي بن أبي طالب مع مثل هذا الحديث، فبين طاعن في بعض رجال سنده بأنهم (شيعة!!) أو (شيعة غلاة ـ والغلو عند هؤلاء تفضيل علي على باقي الصحابة) وبين من قائل إن فيه تصحيفا، وبين مسقط كلمة غيري، ومبدل لها بكلمة بعدي حتى يكون إسلامه بعد أبي بكر، وأنه لم يقل لا يقولها قبلي أحد.. وبين من متأول له بنحو متعسف، خصوصا مع توضيحه أسلمت قبل إسلام أبي بكر وصليت قبل الناس!! علما بأن هذا التعبير (الصديق الأكبر وأول من آمن وفاروق هذه الأمة قد ورد في روايات كثيرة عن الرسول ﷺ كقوله كما في رواية عن أبي ذر وسلمان بعد أن أخذ الرسول بيد علي (إن هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين) كما

أرسل معاوية ذات مرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام رسالة يفاخره فيها (فانظر إلى الزمان كيف يصل إلى حد أن معاوية بن أبي سفيان يفاخر علي بن أبي طالب!): إن لي فضائل كثيرة وكان أبي سيدا في الجاهلية وصرت ملكا في الإسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخال المؤمنين وكاتب الوحي، فقال علي: أبالفضائل تفخر علي ابنَ آكلة الأكباد؟ ثم قال: اكتب يا غلام!

محمد النبي أخي وصهري　　　وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضـ　　　ـحى يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي　　　منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها　　　فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرا　　　صغيرا ما بلغت أوان حلمي

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام

في معجم الطبراني، وإن شئت الزيادة فعليك بالغدير.

فيميلون إلى ابن أبي طالب[1].

ثانياً: أول من يقرع باب الجنة بيديه بعد رسول الله ﷺ.

انظر إلى هذه المعادلة: هذا هو التقدم الحقيقي فمن يكـون أول الناس إيمانا يكن أول من يطرق باب الجنة، وهـذا لا يـؤثر عليه أن تكون المعادلة الدنيويـة مختلفـة، فحتـى لـو أُخّـر عـن موضعه، وانتقص منه حقه، فلا يلغي ذلـك التـأخير الـدنيوي الفضل والسبق الحقيقي، ولا يؤثر شيئا في المعادلة الأخروية.

ثالثـاً: أحـب خلـق الله إلى الله وإلى رسـول الله ﷺ عـلى الإطلاق، وهنـا يستـشهد بحـديث الطـير: وقـد روي بطـرق مختلفة لكن أوسـعها مـا عـن الأمـالي للـشيخ الـصدوق قدس سره بسنده[2] عن أبي هدبة، قـال: رأيـت أنـس بـن مالـك معـصوبا

(١) كنز العمال ـ المتقي الهندي ج ١٣ص ١١٢

(٢) الأمالي ـ الشيخ الصدوق ص ٧٥٣: حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه إبراهيم بن هاشم،
كما ذكر الحديث جمهرة من الكتب غير الشيعية مثل كنز العمال، ومنبع الزوائد، والمستدرك على الصحيحين، وسنن النسائي، وغيرهم، وحيث

بعصابة فسألته عنها، فقال: هذه دعوة علي بن أبي طالب عليه السلام.
فقلت له: وكيف كان ذاك ؟ فقال: كنت خادما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأهدي إليه طائر مشوي، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر. فجاء علي عليه السلام، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلا من قومي، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه الثانية، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر. فجاء علي عليه السلام، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلا من قومي، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه الثالثة، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا

أنه يحمل من المضامين في دلالته ما يخالف العقيدة السائدة عند القوم من تفضيل غير علي سلام الله عليه، لذلك بدؤوا في تضعيفه تارة مع أن الحاكم النيسابوري قد ذكر أنه رواه عن أنس بن مالك أكثر من ثلاثين نفسا، واختصاره تارة أخرى كما فعل البخاري في التاريخ الكبير حيث اختصره في نصف سطر!! وتوجيهه ثالثة بأنه لا بد من تأويله لأن الإجماع (كما قالوا) قائم على أفضلية أبي بكر على علي!! وكأن الإجماع يقف أمام ما ثبت من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !!

الطائر، فجاء علي عليه السلام، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلا من قومي، فرفع علي عليه السلام صوته فقال: وما يشغل رسول الله عني؟ فسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أنس، من هذا؟ فقلت: علي بن أبي طالب. قال: ائذن له. فلما دخل قال له: يا علي، إني قد دعوت الله عز وجل ثلاث مرات أن يأتيني بأحب خلقه إليه وإلي يأكل معي من هذا الطائر، ولو لم تجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتيني بك. فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، إني قد جئت ثلاث مرات، كل ذلك يردني أنس ويقول: رسول الله عنك مشغول. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أنس ما حملك على هذا؟ فقلت: يا رسول الله، سمعت الدعوة فأحببت أن يكون رجلا من قومي. فلما كان يوم الدار استشهدني علي عليه السلام فكتمته، فقلت: إني نسيته، فرفع علي يده إلى السماء فقال: اللهم ارم أنسا بوضح لا يستره من الناس، ثم كشف العصابة عن رأسه فقال: هذه دعوة علي، هذه دعوة علي، هذه دعوة علي.

رابعاً: محبوب المؤمنين ومبغوض المنافقين، فقد خاطبه رسول الله ﷺ بقوله: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»(١)، طبعاً المحبة ليست المحبة الاعتيادية المقصودة هنا، وإنما المحبة التي تستتبع الطاعة والإتباع.

لو كان حبك صادقاً لأطعنه إن المحب لمن يحب مطيع

وبهذا الحديث نستطيع أن نصنع مقياسا في الإيمان والنفاق، فمن أبغض عليا فهو منافق بلا ريب حسب الحديث الشريف، ومن أحبه وتابعه في أقواله وأفعاله فهو مؤمن.

وهذا المقياس نافع للزمن الماضي والتاريخ، بحيث نستطيع تحديد خط النفاق وخط الإيمان في عصر الرسول ﷺ، وما بعده من خلال الموقف الذي يتخذه الناس من علي

---

(١) فسر أمير المؤمنين ذلك الحديث: بما رواه حبة العرني عنه عليه السلام :.. لو ضربت وجه المؤمن بالسيف لما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبني. واستشهد به أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من موضع. ورواه الفريقان كما في سنن الترمذي ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، وأما كتب شيعة أهل البيت فمليئة به.

ابن أبي طالب، كما هو نافع للزمن الحاضر، في كشف استمرار خط النفاق وخط الإيمان.

خامساً: أنه ولي المؤمنين جميعا: فقد ورد في تفسير الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1] أنها نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام.

هناك معان متعددة للولاية، منها المحبة والتعاطف مثل ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2] وهذه ليست خاصة بالمؤمنين بل إن كل تجمع متناغم في الأهداف، أو حتى المصالح فضلا عن العقائد يمكن أن تكون بين أفراده هذه الولاية، فليست شيئا خاصا بالمؤمنين فضلا عن أحدهم.. فإن القرآن الكريم يتحدث عن الظالمين وأن بينهم تلك الولاية

(١)سورة المائدة آية ٥٥.

(٢)سورة التوبة آية ٧١.

بهذا المعنى ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(١) كما أن الكفار هم كذلك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(٢) ومثلهم فإن ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾(٣).

فما هي تلك الخصوصية التي تعينها الآية المباركة، وتحصر الولاية على أساسها بالله ورسوله والذين آمنوا (المفسرة بعلي عليه السلام)؟

إن تلك الجهة هي ولاية الأمر، بل الأولوية على النفوس، وهذه هي التي بينها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم عندما قال: «ألست أولى بكم منكم بأنفسكم؟ قالوا بلى قال: ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه».

وهنا يتبين لماذا يقوم قسم من المخالفين بإنكار ما ثبت

---

(١)سورة الجاثية آية ١٩.
(٢)سورة الأنفال آية ٧٣.
(٣)سورة المائدة آية ٥١.

لعلي عليه السلام من الفضائل والمناقب التي ورد فيها من الأخبار الصحاح واجتمع له ما لم يرد لجميع الصحابة كما نقل عن أحمد بن حنبل؟

ترى هؤلاء يجهدون في الرد والتكذيب والتضعيف، وإن لم يمكن فالتأويل على غير الوجه الظاهر، أو التسليم بدلالتها ولكن يقولون إن الإجماع (!!) قائم على خلافها!!

لأنه إذا تكاملت هذه الأحاديث وتم التسالم عليها، يبدأ المسلم بالتفكير إذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام اجتمع له كل هذه الفضائل والصفات فكيف إذن تقدم عليه غيره؟ وكيف أُخر عمن سواه؟ هنا يبدأ بالتساؤل والتشكيك في النظرية العامة الموجودة، وهذا ما لا يريدونه للناس هذا الشيء لا يريدونه، بل يريدون أن تبقى نظرية التشيع لأمير المؤمنين عليه السلام خارج المألوف، وخارج الأطر المعترف بها.

وعلماء الشيعة لم يصنعوا شيئا سوى أنهم نقحوا وثبّتوا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق أمير المؤمنين عليه السلام حتى يثبت بعد

ذلك أن مجيء الإمامة والخلافة لعلي بن أبي طالب هو أمر علی القاعدة، لأن رجلاً لم يعص الله طرفة عين ولم يسجد لصنم قط وأول الناس استجابة لرسول الله وأقربهم منزلة منه وأشدهم جهاداً بين يديه، هذا لا يمكن أن يتقدم عليه غيره في الخلافة والإمامة بحسب الموازين الإلهية.

عندما تحدث القرآن الصامت

عن القرآن الناطق

كيف تحدث القرآن الصامت عن القرآن الناطق؟

وكيف أظهر كلا منهما الآخر؟ وكيف كشف كلا منهما سر الآخر للناس؟

في البدء لا بد أن نشير إلى علاقة التلازم بين هذين الكتابين وبين هذين القرآنين وبين هذين الفيصلين والميزانين: القرآن الكريم وعلي أمير المؤمنين؟ علاقة تلازم وتلاحم بيّنها الرسول ﷺ عندما قال: علي مع القرآن والقرآن مع علي[1]

(١) ذكر الشيخ حسين الراضي مصادره في كتاب سبيل النجاة في تتمة المراجعات ـ ص ١٦٩:
(٦١١) قال الرسول ﷺ: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». يوجد هذا الحديث في: المناقب للخوارزمي

يدور معه حيثما دار، علي مع الحق، والقرآن وهو الحق وقد نزل

الحنفي ص ١١٠ ط الحيدرية وص ١٠٧ ط تبريز، المعجم الصغير للطبراني ج ١ / ٥٥، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٣٩٩ ط الحيدرية وص ٢٥٤ ط الغري، مجمع الزوائد ج ٩ / ١٣٤، الصواعق لابن حجر ص ١٢٢ وص ١٢٤ ط المحمدية وص ٧٤ وص ٧٥ ط الميمنية بمصر، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٣ ط السعادة بمصر وص ٦٧ ط الميمنية، إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار ص ١٥٧ ط السعيدية وص ١٤٣ ط العثمانية، نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٣ ط السعيدية وص ٧٣ ط العثمانية، الغدير للاميني ج ٣ / ١٨٠، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٤٠ و ٩٠ و ١٨٥ و ٢٣٧ و ٢٨٣ و ٢٨٥ ط اسلامبول وص ٤٤ و ١٠٣ و ٢١٩ و ٢٨١ و ٣٣٩ و ٣٤٢ ط الحيدرية وج ١ / ٣٨ و ٨٨ وج ٢ / ١٠ و ٦١ و ١٠٨ و ١١٠ ط العرفان بصيدا، غاية المرام ص ٥٤٠ (باب) ٤٥ ط إيران، فيض القدير للشوكاني ج ٤ / ٣٥٨، الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ / ٥٦، عبقات الأنوار (قسم حديث الثقلين) ج ١ / ٢٧٧، فرائد السمطين للحمويني ج ١ / ١٧٧ ح ١٤٠. وفي إحقاق الحق ج ٥ / ٦٤٠ عن: المناقب لابن مردويه مخطوط، منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند لاحمد ج ٥ ص ٣١ ط الميمنية، المناقب لعبد الله الشافعي مخطوط، مفتاح النجا للبدخشي ص ٦٦ مخطوط، أسنى المطالب ص ١٣٦، أرجح المطالب لعبيد الله الحنفي ص ٥٩٧ و ٥٩٨ ط لاهور، الفتح الكبير للنبهاني ج ٢ ص ٢٤٢ ط مصر.

بالحق.

هذه العلاقة المتلازمة التي لا ينفك فيها الواحد عن الآخر في هدفه وحركته أعرب عنها الرسول ﷺ أكثر من مرة لكي يبين للناس ميزة هذين الكتابين وعلاقة هذين القرآنين وإلى آخر حياته عندما قال: إني مخلف فيكم الثقلين[1] كتاب الله وهو القرآن الصامت وهو الثقل الأكبر وعترتي أهل بيتي. علي وأبناؤه الطاهرون.

وأشار إلى العلاقة التي بينهما حيث قال ألا وإنهما لن

(١) ـ مسند احمد ـ الإمام احمد بن حنبل ج ٤ص ٣٦٧
وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ﷻ فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، ومسلم ج٧ ص١٢٣ ، وفي لفظ الترمذي مع شيء من الاختلاف: ولو شئت التتبع في أسانيده وعباراته ومواطن إلقائه المتعددة من رسول الله ﷺ فعليك بموسوعة الغدير للعلامة الأميني ﵀.. وفيه عن جابر: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. نبأني بذلك اللطيف الخبير.

يفترقا حتى يردا علي الحوض، بعد هذه العلاقة المتلازمة والمتداخلة تحدث كل منهما عن الآخر تحدث علي عن القرآن فأوضح جانبا من أسراره بمقدار ما أتاح له ظرف الزمان وفسحة الأوضاع واستيعاب الحاضرين.. شرح شيئا من تفسيره وأبرز بعض كوامنه وأسراره للناس واستشهد به واستدل واستنبط منه وعرّفه لهم.

الأمر الآخر: أن القرآن الكريم تحدث عن علي عليه السلام وأوضح منزلته بل كأنه تعقب خطواته، ذهب وراءه سجل صورا من حياته وسيرته كشف للناس دخائل نفسه تابع خطواته ليلا ونهارا وسرا وإعلانا.. وكأنه كان بمثابة الراصد لأعمال هذا القرين والملازم بل يذهب مدى أبعد.. إلى داخل قلبه ويستخرج دخيلة نفسه ويبرز هذه الدخيلة للناس ويكشف عن مستسر السر في داخل صدره فيجعله قرآنا يُتلى وسوراً تُرتل وصوراً تُتأمل! فيقول ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً

قَمْطَرِيراً ﴾[1].. ولم يتفوه علي بحرف من الحروف أمام أحد ولكنه القرآن الكريم الذي دخل إلى ذات صدره واخذ ذلك المعنى ولسان الحال وأظهر النية الكامنة والسر الباطن فأعلنه على الملأ لا في حدود ذلك الزمان وإنما مع بقاء القرآن!

تحدث القرآن عن علي!

إن من الاعتيادي أن يتحدث إنسان عن القرآن وإن تفاوت حديث الناس عنه بحسب استيعابهم وسعة أوانيهم،أنا وأنت.. بل حتى غير المؤمن بالقرآن كالمسيحي يستطيع أن ينظر في القرآن فيتبين مناحي العظمة في هذا الكتاب المعجز ويتحدث عنه.

النادر هو أن يتحدث القرآن عن شخصٍ بلسان التعظيم، فيزكيه ويظهر دخيلة نفسه الطيبة وسر ذاته المقدسة، أمام غيره.

إن الله سبحانه وتعالى ـ وهو العالم بما جرى وما سيجري ـ

(١)سورة الإنسان آية ٩-١٠.

يرى أن حديث نبيه سيقفل عليه بمغاليق المنع مدة قرن من الزمان، بل أكثر مئة سنة مرت على حديث الرسول ﷺ وهو ممنوع.. لا يُدون ولا يُتعاطى ولا يُتدارس تحت طائلة العقوبة للمخالف وإتلاف المكتوب!!

وزاد الأمرَ سوءا مجيءُ معاوية بن أبي سفيان وجاء معه ذلك الغثاء الهائل من الوضع والاصطناع للحديث النبوي!!

حدثٌ كهذا، وما جره من افتئات وجور على فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، اضطر حتى أصحابه لأن يخفوا فضائله خوفا. كان يُراد تدمير القرآن الناطق من قبل أعدائه. لذلك كان ينبغي أن تُسجل سيرته، وفضائله في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويبقى محفوظا عن الزيادة والنقصان. فكان أن دار القرآن مع علي، وكان أن سعى وراءه، وكان أن سجل مواقفه في أكثر من موقف وفي أكثر من قضية!!

أربعة دراهم

أربعة دراهم.. ما هي قيمتها من حيث العدد؟ إنها لا تساوي قيمة مادية ظاهرة.. درهم في الليل وآخر في النهار ودرهم في السر ورابع في العلانية! أترى أن المسلمين لم ينفق منهم أحد درهماً؟ كلا لقد ذكر المؤرخون أنه قد أنفق البعض من المسلمين آلاف الدراهم!! لماذا لم يأت القرآن إلا ليتابع هذا القرين، ويدور معه حيثما دار؟ إذا تصدق في العلن ذهب إليه وسجل ذلك، وإذا أخفى ذلك أظهره، وجعله آيات يقتدي بها من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أموالهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

وأرغفة جريش

ثلاثة أرغفة خبز جريش كذلك، لا تساوي من ناحية القيمة المادية شيئاً! غيره أطعم الكثير بُراً وسمناً وعسلاً لكن القرآن يدور مع علي حيثما دار فيذهب إليه ويطرق بابه

(١)سورة البقرة آية ٢٧٤.

ويسجل تلك القضية التي حدثت ثم بعد ذلك لا يكتفي بتسجيل تلك القضية الظاهرية وإنما يدخل إلى داخل قلبه يستخرج منه لسان حاله ويظهر منه نيته ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً۞ فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾(١). لم يتلفظ عليٌ بحرف من هذه الحروف لم يقل إنما نطعمكم ولم يقل إنا نخاف من ربنا، وأمامك التاريخ فانظر إليه، بل لو قال ذلك لما استحق الأمر التسجيل القرآني، إنما كانت حركة الضمير والنية الكامنة في داخل هذا القلب العظيم وكان لابد أن تظهر لكي يقتدي بها الناس ولكي يسيروا في ضوء نية القرآن الناطق. في القرآن الصامت لا تجد نية لأنه ليس من شأنه ذلك لكن في القرآن الناطق تستطيع أن تجد النية وهنا يأتي دور القرآن الصامت لإظهار هذه النية وإعلائها وإبرازها.

---

(١)سورة الإنسان آية ٩-١١.

من عنده علم الكتاب

عندما يتحدث عن العلم يأتي بعلي ابن أبي طالب عليه السلام ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(١) باعتباره العالم بالكتاب، بل الذي عنده علم الكتاب كما ورد في الروايات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام(٢) وابنه الصادق.

وبالرغم من أنه يصعب على قسم من الناس هذا المعنى فيقومون تارة بتغيير وجه الآية لكي يقولوا: إن الآية هي: ومِن عندِه علم الكتاب.. يعني منه تعليم الكتاب!! فالآية تتكلم عن الله سبحانه..

وأخرى يقومون بنسبة علم الكتاب كله إلى يهودي أو نصراني، كوهب ابن منبه أو كعب الأحبار، أو عبد الله ابن

---

(١)سورة الرعد آية ٤٣.

(٢) الكافي ١/ ٢٢٩، ومثله عن أبي سعيد الخدري عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١/ ٤٠٠ والطريف أن فيه في ص٤٠٤، الرواية في تفسير الآية المباركة إلى أن يقول: قال رجل من قريش: الذي عنده علم الكتاب هو علي بن أبي طالب ولكن لا نسميه!!

سلام!!

المهم أن يبعد الأمر عن علي بن أبي طالب!! ولو التفتوا إلى الآية فإن معناها دعوة النبي ﷺ أن يا رسول الله: توسل باليهود السابقين أو النصارى، لتدعيم دينك ولتجعلهم شهداء بينك وبين الكفار!

ولا نعلم أي كتاب كان يعلمه هؤلاء حتى يكونوا شهداء للرسول على حقه! هل الكتاب هو القرآن؟ فمتى أسلم هؤلاء[1] ومتى استطاعوا الإحاطة بآيات الله؟ ومعرفة علوم القرآن؟ وإذا كان المقصود علم الكتاب المسيحي أو اليهودي، فمتى كان ذلك نافعا في دين الإسلام مع فرض حصول التحريف فيه والتغيير؟.

إذا كان الذي عنده ﴿عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ والذي ذكرت الروايات أنه (آصف بن برخيا) قد استقدم عرش بلقيس ـ

(١) ذكر بعض المحققين أن الآية مكية بينما كان إسلام أولئك في المدينة!! وقد أشار إلى ذلك شيخ الطائفة الطوسي في تفسير التبيان في تفسير الآية المباركة.

بواسطة ذلك العلم ـ للنبي سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه.. تُرى كيف سيكون من يملك (علم الكتاب) كله؟

من عنده علم الكتاب هو مفتاح باب مدينة علم رسول الله!!

كانت تلك المدينة العلمية العظيمة تحتاج إلى باب وبواب يحيط بما فيها ويعرف مداخلها ومخارجها وطرقاتها وكان علي باب تلك المدينة والدليل عليها والرائد فيها، وكان الذي عنده علم الكتاب بحيث أنه ما سئل في شيء، فقال: لا أعلم!! قال: سلوني قبل أن تفقدوني!

ورحم الله صاحب القصيدة الكوثرية حيث يقول:

قاسوك أبا حسن بسواك وهل بالطود يقاس الذر

من يبيع نفسه لله..

لقد ألف كثيرون في ما نزل في علي عليه السلام من القرآن، منهم المرزباني الذي توفي في حدود سنة ٤١٧هـ، وابن الماهيار

وغيرهما.. وتوقفوا كثيرا عند آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(١).. فكيف يمكن أن نقيس بعلي غيره، وهو بمقتضى هذه الآية وما جاء فيها نفس رسول الله ﷺ، تلك النفس التي تفوقت على كل النفوس البشرية من أول الخلق إلى آخر الكون!

تلك النفس هي التي باعها علي عليه السلام في أكثر من موضع راضيا لنجاة رسول الله ﷺ، فهذه قضية مبيته في فراش النبي، تأمل فيها وأنظر أين يبلغ الفداء بصاحبه حتى يباهي الله به ملائكته في علياء سماواته!

ذكر الثعلبي المتوفى (٤٢٧) في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(٢) أن النبي ﷺ لما أراد الهجرة إلى المدينة خلّف علي

(١)سورة آل عمران آية ٦١.
(٢)سورة البقرة آية ٢٠٧.

بن أبي طالب عليه السلام بمكة، لقضاء ديونه وأداء الودائع التي كانت عنده وأمر ـ ليلةَ خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار ـ أن ينام على فراشه صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، ونم على فراشي فإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى، ففعل ذلك علي عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه وجبرائيل ينادي بخ بخ من مثلك يا علي بن أبي طالب، يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي عليه السلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

هل قال علي أنا افعل ذلك ابتغاء مرضاة الله؟ كلا وإنما تلك حركة القلب وسر الصدر أظهره القرآن الصامت من حركة هذا القرآن الناطق، وهكذا يتتبع القرآن عديله، ومثيله، فلا يلحظ قضية من القضايا إلا وسجلها، لكي تبقى عصية على أعمال التزوير والتحريف الذي جرى للفضائل والمناقب.

وليكم الله ومحمد وعلي

هل يستحق خاتمٌ كلَّ هذا الزخم؟ أو تستحق حالة أداء الزكاة حال ركوع الصلاة هذا التمجيد؟ لقد وضع غير علي من الخواتم في يده ما جعلها معرض فصوص وأعطاها لمن سأل، ولم ينزل حرف واحد في تسجيل هذه الحادثة!!

في المقابل رجل فقير قصد مسجد الرسول، مستعطيا بينما كان الأصحاب في حلقات يتدارسون، ولم يحصل على شيء من العطاء، فيما هو خارج يمد رجلٌ (وأيُّ رجل) راكع يده إليه وفيها خاتم مشيرا له باستخراجه من إصبعه.. فكان أن أخرجه منه ومضى.. بينما هو خارج من المسجد وإذا برسول الله ﷺ ومعه عدد من صحبه، فقال له: أما أعطاك أحد شيئا؟ قال:

نعم، هذا الخاتم! قال: من أعطاك إياه؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي! فقال: على أي حال أعطاك إياه؟ قال: كان راكعا..

فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكبر من معه، وكبر أهل المسجد.. ونزلت الآية المباركة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(١).

---

(١)سورة المائدة آية ٥٥ ـ ٥٦.

الحرب المستمرة

على مناقب أمير المؤمنين

روى أبـو الحـسن عـلي بـن محمـد المـدائني[1] في كتابـه

(١) ذكره بنحو مفصل ابن النديم في كتابه الفهرست، معددا أسماء كتبه الكثيرة، في أخبار الغزوات وأخبار الخلفاء والملوك، وغيرها، وترجمه خير الدين الزركلي في الأعلام ـ ج ٤ص ٣٢٣ فقال: المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥ هـ = ٧٥٢ ـ ٨٤٠ م) علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائني: راوية مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة. سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي. أورد ابن النديم أسماء نيف ومئتي كتاب من مصنفاته في المغازي، والسيرة النبوية، وأخبار النساء، وتاريخ الخلفاء، وتاريخ الوقائع والفتوح، والجاهليين، والشعراء، والبلدان. قال ابن تغري بردي: «وتاريخه أحسن التواريخ وعنه أخذ الناس تواريخهم». بقي من كتبه «المردفات من قريش ـ ط» رسالة، و «التعازي ـ خ».

كما ذكره الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ـ ج ٣ص ١٦٨ فقال: المدائني) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله البصري المدائني، الشيخ

(الأحداث) أنه كتب معاوية إلى عماله بعد عام الصلح نسخة واحدة: «أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضائل أبي تراب[1] وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل ناحية وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه».

ثم شفعه بنسخة أخرى: «أن انظروا من كان منكم من شيعة عثمان ومحبيه والذين يروون فضائله ومناقبه فقربوهم وأدنوا مجالسهم واكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في

المتقدم الخبير الماهر، صاحب التصانيف الكثيرة، منها: كتاب خطب النبي ﷺ وكتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب من قتل من الطالبيين، وكتاب الفاطميات وغير ذلك. ينقل منه ابن الحديد المدائني في شرحه على النهج، وشيخنا المفيد قدس سره في الإرشاد وغيرهما، توفي ببغداد سنة ٢٢٥ وقد بلغ التسعين.

(١) ذكروا أن سبب تكنية النبي ﷺ لأمير المؤمنين بأبي تراب ـ وهي من أحب كنى الإمام إلى نفسه ـ أنه ـ وعمار بن ياسر، كانا نائمين في دقعاء متربة، بعد غزوة العشيرة في السنة الثانية للهجرة فجاءهما رسول الله وأوقظهما، ونادى عليا عليه السلام محركا إياه: قم يا أبا تراب..

فضائل عثمان لما كان يبعثه إليهم من الصلات وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد من الناس عاملا من عمال معاوية فيروي فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه..».

فلبثوا حينا ثم كتب إلى عماله: «أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا يتركوا خبرا يرويه الناس في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب، فقرئت كتبه على الناس فروي أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها»[1].

بين أيدينا وثيقة تاريخية عالية الأهمية، تشير إلى تأسيس منهج صار فيما بعد هو القاعدة لدى السلطات السياسية، وهو: الدخول المباشر على خط كتابة التاريخ، وتحريفه بناء على الموقف تجاه رجاله..

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١/ ٤٤

ولنا أن نقرأ في المرسومين الأمور التالية:

١. تأسيس سُنّة الشتم واللعن لأمير المؤمنين عليه السلام في كل بلاد المسلمين بناء على قرار سلطاني صادر من معاوية، حتى أصبحت بعض البلاد أو المناطق تذكر عندما تمتنع عن ذلك، وهذا يعني أنها قد أصبحت (سنة) ملزمة وصارت هي القاعدة. ولما امتنع أهالي (سجستان) عن القيام بهذه (السنة) ذُكر ذلك في التاريخ[1]!.

ولم يكن ذلك خاصا بأمير المؤمنين علي عليه السلام فحسب بل كان يشمل أهل بيته، وتأمل ـ عزيزي القارئ ـ إذا كانت السنة

---

(١) قال الحموي في كتابه معجم البلدان ـ ج ٣ص ١٩١ عند حديثه عن ميزات سجستان بعد أن عدد علماءها وفقهاءها : قال الرهني: وأجل من هذا كله أنه لعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على منابر الشرق والغرب ولم يلعن على منبرها إلا مرة، وامتنعوا على بني أمية حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد ولا يصطادوا في بلدهم قنفذا ولا سلحفاة، وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، على منبرهم وهو يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة؟

هي الشتم للإمام واللعن له، فهل يمكن لأحد أن يتحدث عن فضائله ومناقبه، بل هل يمكن لأحد أن يروي عنه؟ هل يمكن أن ينقل الرواة ما عرفوه من علم الإمام عليه السلام، ومما أخرجه لهم من مدينة رسول الله العلمية؟.

أصحابه وأولياؤه الذين هالهم ذلك، حاولوا أن ينشروا ما مُنع بصور غير مباشرة، تارة بتغيير اسم الإمام بأن يذكروا الحديث عن أبي زينب (هكذا) وأخرى يقاومون ذلك كما صنع الإمام الحسين عليه السلام في موسم الحج حيث جمع الناس واستشهدهم وأسمعهم وأسمع بعضهم بعضا فضائل ومناقب الإمام[1] عليه السلام.

٢. ماذا يعني برئت الذمة؟

---

(١) قد ذكرنا في موضع آخر أن قضية المناقب والفضائل ليس غرضها الافتخار المجرد أو التباهي، وإنما هي إشارات عقدية لقضية الإمامة الكبرى، وهذا أيضا ما فهمه المخالفون لأمير المؤمنين فمنعوا ذكر فضائله، وأعلنوا فضائل مصطنعة لغيره!

إننا نلتقي بهذا التعبير كثيرا، ومعناه الظاهري واضح، وهو أنه لا ذمة لهذا الرجل المسلم في بلده.. ولكن التأمل الدقيق فيه يعطي معاني متعددة، يمكن إيجازها بالتعبير المعاصر بإسقاط كل حقوق المواطنة له..

ـ فهو لا ذمة له في حفظ حياته حتى بمستوى (أهل الذمة) من المسيحيين واليهود الساكنين في بلاد المسلمين، فلا يوجد ضمان حياتي له، ولا حماية لدمه!

ـ ولا حق له في العطاء الاقتصادي، فإنه قد كان جزء من مدخول المسلم معتمدا على كون اسمه في ديوان العطاء (الحكومي) وكان يُقسم له من الخراج الذي يؤتى به لخزينة الدولة، وبهذا المرسوم قد تم إسقاط حقه الاقتصادي، وحُكم عليه بالحرمان التام.

ـ هذا فضلا عن حقوقه الأخرى كالسياسية وغيرها.

كل هذا يتم إسقاطه إذا (روى شيئا من فضائل أبي تراب)!!

٣. الجهة الأخرى لهذا المرسوم السلطاني، تقريب (شيعة عثمان) وفي الواقع لم يكن هناك (شيعة) لعثمان بالمصطلح المذهبي، ولا السياسي، وإنما هم جماعات بني أمية وأتباعهم الذين كانوا قد استفادوا من أيام الخليفة عثمان بعد أن قربهم، فمدوا أذرعهم الأخطبوطية وسيطروا على كثير من أمور الأمة.. ومع هؤلاء جيش من المنتفعين ماديا.. فكان هذا المرسوم تعبيرا آخر عن تقريب الخط الأموي، وأنصاره لكن باسم عثمان، ومرة أخرى يُرفع (قميص عثمان) في المواجهة الأموية مع أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد كان هذا المرسوم دعوة رسمية صريحة لوضع الأحاديث المكذوبة، وتأليف النصوص المختلقة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه لم يكن أحد يُعتبر بكلامه بين المسلمين كما يعتبرون بكلام رسول الله. ومن عجَبٍ!! أن الاتجاه الرسمي العام كان منع كتابة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أيام

الخليفة الثاني، إلى أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، لكن كانت هذه الأحاديث تُكتب ويُكرم كاتبوها وتُسجل أسماؤهم، وبالطبع تكتب الأحاديث التي (رووها)!.

تلك الدعوة الصريحة الرسمية والواضحة، التي أطلقها معاوية كخليفة للمسلمين، لوضع الأحاديث واختلاقها، آتت نتائجها سريعا! خصوصا مع وجود حوافز مادية، وتقريب معنوي.. ولذلك (أكثر) أولئك ولم يقوموا فقط بوضع الأحاديث وإنما أكثروا في فضائل عثمان، وجهة ذلك ليس لأن هذه كانت خفية على الناس، أو أنهم كانوا يخافون من الحديث فيها، فإنهم قد عاصروا أيام الخلافة بعد الرسول والتي كانت منسجمة مع عثمان، والأمر أوضح أيام الخليفة عثمان نفسه.. وإنما (كثر الحديث) لما كان يبعثه إليهم من الصِّلات والعطاءات، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد من الناس عاملا من عمال معاوية فيروي فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقرّبه..

إلى حد أن معاوية نفسه قد رأى بعد مدة أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا وزاد عن حده، وأوشك ـ بهذه الكثرة ـ أن يفسد الخطة الموضوعة للاختلاق والاصطناع، وعندها.. كتب لعماله: أنه يكفي الحديث في عثمان، بعد أن فشا في كل مصر وفي كل وجه وفي كل ناحية!!

٤. هنا صدر الأمر بأن يحول اتجاه وضع الفضائل والمناقب جهة أخرى وهي (عموم الصحابة) من غير أهل البيت عليهم السلام، وأوليائهم وإلا فسد الأمر عليه، وقد سبق أن أعلن براءة الذمة ممن روى شيئا من فضائل علي وأهل بيته!

«فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين».

٥. والجهة المهمة في هذه الفقرة: هي كيفية الوضع هنا، فإن الحديث المصطنع أيضا يحتاج إلى شيء من البلاغة والفصاحة من حيث الشكل وأن يكون فيه معنى مقبول،

وإلا فـلا ينـتج أثـرا في سـامعيه.. فـوجههم معاويـة إلى الطريقـة المناسـبة وهـي: أن هنـاك فـضائل حقيقيـة لأبي تراب، فليقم هؤلاء الوضاعون بتقليدها واستنـساخها في حق باقي الصحابة..(ولا يتركوا خبرا يرويه النـاس في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هـذا أحـب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب، فقرئت كتبه على الناس فروي أخبار كثيرة في مناقـب الـصحابة مفتعلـة لا حقيقة لها).

والغرض من ذلك ليس إعلاء شأن الصحابة!! فهذا آخر ما يفكر فيه معاوية.. وإنما المقصود هو أن يكون ذلك الحـديث المفتعل والرواية الموضوعة تدحض (وتبطل) حجة أبي تراب.. وهذا معنى ما قلناه قبلئـذ مـن أن أحاديـث المناقـب هـي ذات جهة عقدية، يستدل من خلالها على الإمامة، وهـذا هـو الـذي كان يهم معاوية إبطاله!

والنتيجـة هنـا كالـسابق، فرويـت في الـصحابة أحاديـث

كثـيرة، ووضـع لهـم مناقـب لا أسـاس لهـا غـير الافتعـال! والاصطناع!

٦. هذا النص يلقي ضوءا على كثير من أحاديث المناقـب المقلدة و المستنسخة والـ(فتوكبي) والتي قيلـت (مناقـضة لعلي، ودحضا لحجته كـما قـال المرسـوم الأمـوي الـسابق الذكر) وكانت بغرض مصادرة الخصوصية والميـزة التـي تميز أمير المؤمنين عليه السلام عـن غـيره، وفي تقـديرنا إن عـددا هائلا من الأحاديث من هذا النوع قد تـسرب إلى الـتراث الحديثي الذي تشكلت معـالم كتابتـه ـ في الأفـق الرسـمي السلطوي ـ مع بدايات حكم عمر بن عبـد العزيـز أي في أوائل ما بعد سنة ١٠٠ هجرية، ومعنى ذلـك أنـه كانـت هذه الأحاديث ـ التي مُنع غيرها من التناقل، وسُمح لهـا ـ تُتداول أكثر من نصف قرن.

ـ من أمثلة تلك الأحاديث المقلدة والمناقضة: قضية الأول إسلاما هو فلان من الرجال وفلان من الموالي وفلان من الروم

وفلان من الحبشة..الخ بينما أمير المؤمنين يقول: أنا الصديق الأكبر أسلمت قبل إسلام أبي بكر وبعث رسول الله يوم الاثنين وأظهر علي إسلامه يوم الثلاثاء..

ـ في قضية ميلاده في الكعبة: لم يهن عليهم الأمر، فكذبوا ذلك وقالوا إن الذي ولد في الكعبة هو حكيم بن حزام بن خويلد (عم الزبير)!! هذا مع أنه قد تأخر إسلامه، وكان بعد أن أسلم من المؤلفة قلوبهم ويعطى من سهمهم في الزكاة!، ولعمري ما هي ميزته حتى يكرم بهذا التكريم الإلهي سوى أنه من أعمام الزبير! وأنه تلكأ عن بيعة أمير المؤمنين.

ـ و هكذا حديث مدينة العلم فإنهم أضافوا إليه (لكيلا يختص الفضل بعلي عليه السلام أن فلانا سقفها وفلانا حيطانها.. وذكروا عن أحد الصحابة غير المنسجمين معه أنه (أعلم الأولين والآخرين!). وأن هذا يباهي الله به ملائكته!! ولا نعلم لماذا؟ وأي موقف قام به! وهل أن ذلك لأجل أن عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي، قد تلمذ ودرس على يده! ولكن

نعلم أنه في مقابل حديث مبيت الإمام على فراش النبي وأن الله يباهي به ملائكته، ولكن (دحضا لحجة أبي تراب) لا بد أن ينسب هذا إلى غيره!

ـ وفي مقابل (أقضاكم علي، وأعلمكم علي) وضعوا (أعلمهم بالحلال والحرام فلان، وأقرؤهم فلان وأفرضهم فلان) مع أنهم يقولون أن الحديث عن سفيان بن وكيع وهو كما قالوا: لين وأنه ليس بثقة وأنه لم يشهد مع علي أيًّا من حروبه.

ـ في مقابل كونه عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله قالوا: أن أفضل الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر ثم خبطتنا فتنة بعدهم لا ندري ما عملنا فيها ويصنع الله ما يشاء!!

مع قولهم بأن هذا الحديث هو عن عبد الله بن شقيق وهو كما يزعمون ثقة لكنه يبغض عليا!!

ــ في مقابل كونه وصي الرسول بمقتضى العديد من الروايات، جُعل (اقتدوا باللذين من بعدي!!).

ـ وفي مقابل حديث الطير المشوي وأحب خلقك إليك جُعل حديث حواري الرسول .

ـ وفي مقابل كونه عليه السلام بطل الإسلام من غير منازع حاولوا أن ينسبوا بعض أعماله إلى بعض الصحابة مثل أن قاتل مرحب هو محمد بن مسلمة الأنصاري.. وغير ذلك كثير.

ـ بل كذبوا على أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، فقالوا إنه قال: من يفضلني على فلان جلدته حد المفتري!! وكذبوا عليه أنه قال: ليتني شعرة في صدر فلان! وأنه يتمنى لو كان يلقى الله بعمل فلان وهكذا!!

واستمر هذا الخط من الكذب والاصطناع حتى أيام ما بعد عمر بن عبد العزيز، حين نجد آثاره في أيام الإمام الصادق عليه السلام حين دخل عليه جماعة ممن لا يبالون من أين أخذوا الحديث وإلى من نقلوه!

فقد نقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٥٤ عن رجال الكشي بسنده عن ميمون بن عبد الله قال: أتى

قوم أبا عبد الله عليه السلام يسألونه الحديث من الأمصار، وأنا عنده، فقال لي: أتعرف أحدا من القوم؟ قلت: لا فقال: كيف دخلوا علي؟ قلت: هؤلاء قوم يطلبون الحديث من كل وجه، لا يبالون ممن أخذوا، فقال لرجل منهم: هل سمعت من غيري من الحديث؟ قال: نعم قال: فحدثني ببعض ما سمعت. قال: إنما جئت لأسمع منك، لم أجئ أحدثك، وقال للآخر: ذلك ما يمنعه أن يحدثني ما سمع؟ قال: تتفضل أن تحدثني بما سمعت، أجعل الذي حدثك حديثه أمانة لا أتحدث به أبدا؟ قال: لا قال: فسمّعنا بعض ما اقتبست من العلم حتى نعتد بك إن شاء الله فبدأ يحدثه بأحاديث مكذوبة ناسبا إياها إلى الإمام الصادق نفسه!! والإمام عليه السلام يقول: زدنا قال: حدثني سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر أنه رأى عليا عليه السلام على منبر بالكوفة وهو يقول: لئن أتيت برجل يفضلني على أبي بكر وعمر لأجلدنه حد المفتري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا فقال: حدثني سفيان عن جعفر أنه قال: حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهما

كفر. قال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا قال: حدثني يونس بن عبيد، عن الحسن أن عليا عليه السلام أبطأ على بيعة أبي بكر، فقال له عتيق: ما خلفك عن البيعة؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك، فقال علي عليه السلام: خليفة رسول الله لا تثريب!، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: زدنا. قال: حدثني سفيان الثوري، عن الحسن أن أبا بكر أمر خالد بن الوليد أن يضرب عنق علي عليه السلام إذا سلم من صلاة الصبح، وان أبا بكر سلم بينه وبين نفسه، ثم قال: يا خالد! لا تفعل ما أمرتك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا قال: حدثني نعيم بن عبيد الله، عن جعفر بن محمد أنه قال: ودّ علي بن أبي طالب عليه السلام أنه بنخيلات ينبع، يستظل بظلهن، ويأكل من حشفهن ولم يشهد يوم الجمل ولا النهروان، وحدثني به سفيان، عن الحسن، قال أبو عبدالله عليه السلام: زدنا قال: حدثنا عباد، عن جعفر بن محمد أنه قال: لما رأى علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل كثرة الدماء، قال لابنه الحسن: يا بني هلكت قال له الحسن: يا أبت أليس

قد نهيتك عن هذا الخروج؟ فقال علي عليه السلام: يا بني لم أدر أن الأمر يبلغ هذا المبلغ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا. قال: حدثنا سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد عليه السلام أن عليا عليه السلام لما قتل أهل صفين بكى عليهم، ثم قال: جمع الله بيني وبينهم في الجنة.

قال ميمون: فضاق بي البيت وعرقت، وكدت أن أخرج من مسكي (يعني جلدي) فأردت أن أقوم إليه فأتوطأه ثم ذكرت غمز أبي عبد الله عليه السلام فكففت فقال له أبو عبدالله عليه السلام: من أي البلاد أنت؟ قال: من أهل البصرة قال: هذا الذي تحدث عنه وتذكر اسمه جعفر بن محمد تعرفه؟ قال: لا قال: فهل سمعت منه شيئا قط؟ قال: لا، قال: فهده الأحاديث عندك حق؟ قال: نعم، قال: فمتى سمعتها؟ قال: لا أحفظ قال: إلا أنها أحاديث أهل مصرنا، منذ دهرنا لا يمترون فيها. قال له أبو عبد الله عليه السلام: لو رأيت هذا الرجل الذي تحدث عنه فقال لك هذه التي ترويها عني كذب، وقال:

لا أعرفها ولم أحدث بها، هل كنت تصدقه؟ قـال: لا قـال: لِمَ؟ قال: لأنه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عتق رجل لجاز!!

استمرار الغارة على فضائل الإمام

ربما كان الأمر مفهوما في ما قام بـه معاويـة، ضـمن أطـر الصراع السياسي، وتصفية الخصوم، وقد كان بارعا في ذلـك لا ريب! ولكن ما ليس مفهوما هـو اسـتمرار الخلـف مـن (غـير الأمويين نسبا) والـذين لا يفـترض وجـود مـصلحة سياسـية حاضرة لهم في الدوام على النهج الأموي! هذا غير مفهوم.

ما الذي يدفع محدثا أو حافظا لكـي يـستمر عـلى التغافـل عن فضائل أمير المؤمنين بعدما ثبتت له بحسب مقاييسه؟ ومـا الذي يجعله يصاب بالحمى بمجرد أن يرى منقبـة مـن مناقبـه؟ لقد كان معاوية يخوض حربا مع علي بن أبي طالب وكان يهمـه أن (يُدحض) حجته.. فما الذي يجعل هذا المحدث الـذي جـاء

بعد ثلاثة قرون أو ستة يتابع النهج الأموي، وكأن المرسوم الذي أصدره معاوية أيام حكومته آية قرآنية خالدة بخلود البشر وبقائهم!!

إننا نجد أن فئة من المسلمين لا تزال تتابع النهج الأموي فتواصل الغارة والمؤامرة على فضائل الإمام عليه السلام عن طريق:

١. تعمد الإخفاء والتجاهل: وهذا ما يكشفه لنا العمل الذي قام به الحاكم النيشابوري في كتابه (المستدرك على الصحيحين) حيث جمع فيه من الروايات الصحيحة على شرط مؤلفي الصحيحين، في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، مما تركه مؤلفا الصحيحين، ولم يخرجاه مع وثاقة رجال أسانيده بحسب قواعدهما. ويصعب تبرير أو تفسير هذا..

٢. وتعمد الإنكار من غير مبرر له، فقد سار عوام المتعصبين في هذا الطريق كما صنع عوام دمشق مع النسائي الذي ضربوه وأخرجوه حتى مات، بعدما كتب

في فضائل علي عليه السلام، وصنع جهلة الموصل مع الكنجي الشافعي نفس الفعل.. وعلى هذا الطريق المتعصب كان في المقدمة المحدثون، والرجاليون، فهؤلاء قاموا بجناية لا يزالون يحصدون غبها وإثمها حتى يومنا، وهي أنهم يضعفون الثقات، ويوهنون موقعهم لا لشيء إلا لتشيعهم لعلي بن أبي طالب وأهل بيته، وكأن قانون (برئت الذمة ممن روى شيئا من فضائل أبي تراب) قاعدة محكمة وسنة ملزمة!

وإذا أردت تبين هذا فما عليك إلا بمراجعة كتاب منهاج السنة لابن تيمية الحراني فما ترك حديثا ثابتا إلا وكذبه! ولا قضية متسالما عليها في حق أمير المؤمنين إلا سفهها، وإن شئت غيره فعليك بابن كثير في كتبه فإنه ظل أوفى الأوفياء للنهج الأموي.

الصدّيق الأكبر

يتساءل قسم من المسلمين حول السِّر الذي يدفع الـشيعة إلى الاهتمام المبالغ فيه في قضية أمـير المـؤمنين عليه السلام. ألا يُعتـبر واحداً من الخلفاء الأربعة؟

ألا يُعتبر واحداً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ما هي ميزة هذا الشخص حتى يكون له كل هذا الاهـتمام وهذه العناية و التوجه؟

لو نظرنا نظـرة فاحـصة سـوف نجـد أن بـين مـن ينطـق الشهادتين يوجد تعاكس في الاتجاه بما قد يصل إلى مائة وثمانـين درجة. حيث أن فئة تقع في أقصى اليمـين والأخـرى في أقـصى الشمال.كيف ذلك ؟

فمثلاً قضية التوحيد، بعض الفِرَق الإسلامية تؤمن بإلـه،

له يدان وله أعين وذلك لأنهم يستدلون بقولـه تعـالى: ﴿فَإِنَّـكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ وله رِجْل واحدة كما ينقلون عن النبـي ﷺ أنـه قـال ضمن حديث «يضع الرحمن رجله»، أو كما قال بعضهم سلوني عن كل شيء إلا ما دون البطن فلا تـسألوني عنـه. وهنـاك مـن المسلمين من يؤمن بالقرآن الكريم حقيقة ويفهمه، يقول تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُـهُ الأَبْـصَارُ وَهُـوَ يُـدْرِكُ الأَبْـصَارَ وَهُـوَ اللَّطِيـفُ الْخَبِيرُ﴾[1]. وأنـه سـبحانه ﴿لَـيْسَ كَمِثْلِـهِ شَيْءٌ وَهُـوَ الـسَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2] بين أولئك المسلمين وبين هؤلاء فاصل عظيم جداً، وإن غفل عنه البعض، فكـلا الطـائفتين تقـولان أنهـما يرفعـان الشهادتين، ويؤمنان بالإسلام و بالرسول ﷺ. في الحقيقـة إن هناك فرقا كبيرا في المسألة العقدية بين من يؤمن بالعدل الإلهـي وأن الله ليس بظـلام للعبيـد، وبـين مـن يـرى أن الله سـبحانه وتعالى يجبر العباد عـلى المعـصية، بـل يخلـق معاصـيهم ويخلـق جرائمهم وانحرافاتهم ومع ذلك يعذبهم يوم القيامة ، و لا يحق

(١)سورة الأنعام آية ١٠٣.
(٢)سورة الشورى آية ١١.

لأحد أن يعترض على ما يفعل ـ وإن كان عملا غير مبرر عقـلاً ولا ينسجم مع الفطرة ـ. هذا إله عند قـوم مـن المـسلمين، إلـه ظالم والعياذ بالله، إله لا يتوافق مع قواعد العدل بـل ولا حتـى العقل .

بينما قسم آخر من المسلمين يؤمن بقوله تعالى:﴿ وَمَا رَبُّـكَ بِظَلامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَـلَى نَفْـسِهِ الرَّحْمَـةَ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾(٣).

بين هذين الحدَّين يوجد فاصل كبير جداً من العقائد ومن المعرِفة ومن الصِّفات الإلهية. وهكذا لو أُخذت الأمور بتمعُّن، سوف يتبيَّن أنَّ هناك ـ كـما يقولـون- اثنـان وسـبعون فرقـة أو أكثر وهي ترفع الشهادتين لكنها تختلف في معرفة الله وصفاته.

إذاً فمن هو الذي يُمثِّـل الإسـلام النقـي الـصافي في هـذه

---

(١)سورة فصلت آية ٤٦.
(٢)سورة الأنعام آية ١٢.
(٣)سورة الإسراء آية ١٥.

المساحة العريضة؟ و ما هو الميزان؟ و ما هـي البوصـلة؟ و مـا هو المحك؟ ومن هو الفيصل والفاروق؟!

علي الفاروق الأعظم..

هنا يأتي دور الاهتمام بسيرة أمير المـؤمنين عليه السلام باعتبـاره مقياسا و ميزاناً، من كان معه فإلى الجنة، و من كـان ضـده فـإلى النار مصيره ولو رفع من شعارات الدين القرآن عـلى الرمـاح، هـذا لـيس حـديثنا بـل هـو حـديث رسـول الله. كـما ورد في الحديث: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار.

في حـرب الجمـل مـثلاً حـدثت مـشكلة أمـام كثـير مـن المسلمين لأن الفيـصل والميـزان للحـق لـديهم لم يكـن دقيقـاً. يتصور الكثير من المـسلمين أن الوقـوف لجانـب هـذا الطـرف الذي يضم طلحة، و هو من أصـحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومـن ذوي السوابق في الإسلام. ويضم الزبير ابـن عمـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذا السوابق المجيدة الذي سـيفه طالمـا جـلَّى الكـرب عـن

وجه الرسـول، وفيـه عائـشة زوجـة رسـول الله وأم المـؤمنين. يرفعون شعار الإسلام و يـصلّون صـلاة الجماعـة، يكـبّرون و يقرؤون القـرآن، ويهلّلـون ويحمـدون الله، و يبـدؤون القتـال باسم الله.

وفي الطرف الآخر علي ابن أبي طالب و عـمّار وعـدي بـن حاتم وابن التيهان ونظرائهم، وهكذا حلّت الحـيرة عـلى قـسم من الناس. هذه المشكلة لابـد لهـا مـن ميـزان يميـز الحـق مـن الباطل، فما الذي يميز الحق؟ فهـل المقيـاس هـو أكثريـة عـدد الصحابة إلى جانب هذا أو ذاك؟

جاء رجل من الأنصار إلى حذيفـة ابـن الـيمان فـسأله: يـا حذيفة كم شهد مـع عـلي ابـن أبي طالـب حـرب الجمـل مـن أصحاب رسول الله؟ فنظر حذيفة في وجهه متبـسماً وقـال: يـا هذا كأنك تريد أن تعرف فضل علي ابن أبي طالـب عليه السلام بمـن شهد معه من الصحابة؟

قال الرجل: بلى!

فقال حذيفة: اذهب فو الله ما عرفنا لأحدهم فضلاً إلا بإتباعهم إياه.

يحاول حذيفة أن يبين الميزان الحقيقي و الفيصل والمحك الذي يميز الحق من التزييف والباطل، يحاول أن يبيّن من هو علي ابن أبي طالب كما في الحديث الشريف: «علي قسيم الجنة والنار»، ويقول ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

فهناك أمورٌ عامة وواضحة لجميع المسلمين كتنزيل القرآن الكريم على النبي ولكن تأويله وفهم معانيه يحتاج إلى بوصلة تهدي للمعاني الحقة كما جاء في خطاب النبي لأمير المؤمنين: «قاتلتُ على التنزيل وتقاتل القوم على التأويل».

إن تطبيق أحكام القرآن الكريم وتحديد معانيه ومعرفة تأويله يحتاج إلى فيصل وهو أمير المؤمنين الذي يشير إليه رسول الله ﷺ.

فإننا قد رأينا الجميع يقرأ القرآن، بل لقد رفعه جيش

معاوية على أسنة الرماح بصفين، وكأنهم هم الأولى بالقرآن.. ولقد رأينا الفرق المختلفة تستدل بظاهر القرآن بما يوافق عقيدتها، حتى الخوارج كانوا يرفعون آيات القرآن شعارا، وعنوانا، ويواجهون الإمام عليا عليه السلام بها ـ في زعمهم ـ. كما كان يصنع ابن الكواء حيث يقرأ في وجه الإمام وهو يخطب ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] فمن هو الذي يمكن أن يفرق بين الحق والباطل حقيقة، بعدما رفع الجميع الحق شعارا ظاهريا؟ إنه الذي يفرق بين الحق والباطل، فـ «يدور معه الحق حيثما دار». ويكون «القرآن مع علي».

حديث المنزلة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

---

(١)سورة الزمر آية ٦٥.

ما هي منزلة هارون من موسى؟

يقول الله تعالى مبينا منزلة هارون من موسى في كتابه العزيز: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشدد بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً﴾(١).

في بداية الآيات، يتحدث نبي الله موسى عليه السلام بصيغة المفرد ﴿وَاجْعَل لِّي﴾، ثم تتحول المعادلة إلى صيغة التثنية في حالة استجابة الدعاء ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرا ۞ وَنَذْكُرَكَ﴾ ونجد في نهاية السورة كيف أن سحرة فرعون قالوا ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ حيث أصبح هناك مجموع وشراكة في أمر موسى وهارون. حديث المنزلة يجعل هناك شراكة بين النبي وعلي كما توضح الآية السابقة إلا أن الحديث يستثني النبوة «إلا أنه لا نبي بعدي» بمعنى أن عليا

---

(١)سورة طه ٢٩ ـ ٣٥.

يشارك النبي في أموره إلا أمر النبوة فهو خاص برسول الله ﷺ. وكما في آيات أخرى أيضاً حيث تصبح سائر الأمور والقضايا أمراً واحداً وقضية واحدة كما في آية المباهلة ﴿ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ﴾ وكما في الحديث الشريف «لحمك لحمي، ودمك دمي، سِلمك سِلمي، وحربك حربي..».

وهذا ما يجعل شيعة أهل البيت عليهم السلام متمسكين و مهتمين بأمير المؤمنين لكونه الفيصل والفاروق، وهذا ما فهِمه خُلَّص صحابة رسول الله ﷺ كأبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي قال عنه رسول الله : «ما أظلَّت الخضراء، وما أقلَّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر». كان أبو ذر يقول: «إذا أقبلَت عليكم الفتن فعليكم بعلي ابن أبي طالب» فحديث أبي ذر كحديث رسول الله وذلك لتزكيته من قِبَل الرسول. وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: «كنَّا نعرف الناس بطيب الولادة أو خبثها بحبِّهم أو بغضهم لعلي».

هؤلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يعلمون أن هناك

فرقا شاسعا بين مجرد النطق بالشهادتين وبين إتِّباع الحق إتّباعاً كاملاً.

من دون تحديد الموقف وتعيين جهة الاتجاه من خلال أمير المؤمنين علي عليه السلام، يكون الجميع يعرفون الله المتعدد بحسب الصفات والكيفيات بينما الله واحد، ويكون الجميع مصيبين على اختلاف مواقفهم وأعمالهم، بينما الحق واحد.

ويكون (سيدنا) معاوية (أميرا للمؤمنين!) و (رضي الله عنه !) مع أنه يقتل سيدنا حِجْر بن عَدِي رضي الله عنه ؟!.. ويكون (سيدنا) يزيد (رضي الله عنه !) الذي يقتل سيدنا الحسين عليه السلام؟!

هنا يأتي دور الفيصل كما في قول أمير المؤمنين: «أنا الصِّدِّيق الأكبر والفاروق الأعظم، لا يقولها أحدٌ غيري إلاّ كان كاذبا». وهذا ما يجعل قضية أمير المؤمنين مهمّة للغاية عند شيعة أهل البيت .

أنا مدينة العلم وعلي بابها

من كلام لسيدنا و مولانا رسول الله ﷺ قال: «أنا مدينة العلم و علي بابها».

و قال أيضا: «يا علي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات فلأنا أعلم بها مني بطرق الأرض»(١).

الحديثان الأولان لرسول الله ﷺ فيهما شيء يسمى بتعبير العلماء بالتنزيل و لا بد من إلقاء نظرة على هذا المعنى، لأنه مما تكثر الحاجة إليه و يعين على فهم كثير من الأحاديث.

---

(١) كلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في مواطن كثيرة، ولذلك وردت الروايات به مختلفة الألفاظ بين الإيجاز والتفصيل، ومع ذكر بعض الحوارات في بعضها بينه وبين بعض من حضر مجلسه.

كما أنه أيضا إذا فهمه الإنسان يستطيع أن يستدل بالحديث و أن يستدل بمضمونه على حذف الزوائد التي تزاد في الأحاديث الصحيح، مثلا عندما يأتي بعض المحدثين إلى هذا الحديث الشريف «أنا مدينة العلم و علي بابها». فمن لا يرى لعلي مثل هذه الفضيلة أو يعز عليه أن يرى مثلها تراه يحاول أن يلوي عنق الحديث فيقول: أنا مدينة العلم و علي بابها، إنما يعني أن مدينة العلم هو رسول الله وهذه المدينة فيها باب، وهذا الباب عليٌّ أي عالٍ و مرتفع.

فئة أخرى تنظر إلى مثل هذا الحديث وتقول: بلى هذا حديث ثابت! و عليٌّ بابها أي علي بن أبي طالب، و لكن فيها إضافات مثلا فلان أركانها، فلان جدرانها إلى غير ذلك.

لو فهمنا معنى تنزيل شيء على شيء آخر لاستطعنا بواسطتها أن نرد هذه الإضافات الموجودة في الحديث وأن نرد ذلك التأويل المتعسف الذي يذهب عن اسم علي إلى معنى صفة العلو..

وفائدة فهم قضية التنزيل لا تقتصر على هذا المورد، بل في

كثير من الموارد. فإنه كثيرا ما وردت الأحاديث بصورة التنزيل، ولنصطلح عليها باسم (الأحاديث التنزيلية)، ومن أمثلة ذلك:

ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ـ أنا مدينة العلم وعلي بابها. أنا مدينة الحكمة وعلي بابها. أنا مدينة الفقه وعلي بابها[1].

ـ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

ـ مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى.

لماذا يتم التنزيل؟

التنزيل هو عملية تشبيه قد أُخذ فيها أن يكون المنزل عليه والمشبه به واضحا عند السامع، وجهة ـ أو جهات ـ التنزيل

---

(١) الإمام علي للرحماني الهمداني / ١٤٢ وقد ذكر فيه مصادره المتعددة.

مفهومة عنده. فيستفيد المتكلم من وضوح المنزل عليه أو المشبه به، ومن وضوح جهة التنزيل أو التشبيه في توضيح مقاصده وأفكاره.

ولا بد وجود مناسبة بين الأمرين، يعني مثلا إذا أردت تشبيه إنسان بالحديد و تقول هذا الشخص حديد لا بد أن يكون هناك وجه مناسبة بين هذا الإنسان و بين الحديد مثل أن يكون إنسانا قويا شديدا إلى غير ذلك، أما الإنسان المائع إذا شبه بالحديد فإن التشبيه هذا لا يعد صحيحا. ثم بعد أن نشبه شيئا بشيء قد تكون هناك عدة جوانب شَبه فلا بد أن تنظر إلى أقرب مواقع المشابهة و المناسبة بين المشبه و المشبه به، فإذا قلنا مثلا أنا أعتبر فلانا كالحديد قد يكون هناك عدة وجوه للشبه فلا بد أن تنظر أي هذه الوجوه أقرب من غيرها و تبني على أساس الوجه الأقرب والأظهر.. أو يلاحظ كل الوجوه وهو ما يسمى بـ (عموم المنزلة).

نأتي بمثال يتردد في كلمات علمائنا: (الطواف بالبيت

صلاة)[1]، هناك عدة وجوه شبه بين الطواف والصلاة،: كلاهما عبادة، و كلاهما يعتبر فيه الإخلاص، و الانبعاث عن أمر الله، ويلزم فيهما التستر، لكن تجد أيضا وجوها فارقة بين الأمرين، الصلاة فيها ركوع و سجود وذكر واجب لكن الطواف لا يوجد فيه ركوع و لا سجود ولا ذكر واجب، يقول العلماء هنا أقرب وجه شبه بين الطواف و بين الصلاة أنهما أمران عباديان و أنهما يحتاجان إلى الطهارة بالوضوء أو الغسل.

قول الرسول: «أنا مدينة العلم و علي بابها»، يستحضر إلى الذهن صورة المدينة خصوصا تلك التي كانت في السابق وكانت تبنى بشكل خاص، حيث كانت تحتاج إلى سور وجدران لكي تتحصن من الغارات.. فما كان أحد يستطيع أن يدخل المدينة وينتفع بما فيها، إلا عندما يفتح ذلك الباب الذي يكون مدخلا و مخرجا..لأن المدينة عادة مسورة بأسوار

---

(١) ورد هذا كحديث في سنن البيهقي، وأما من طرقنا فلم يرد بهذا النص بل في صحيح الحلبي (.. إلا الطواف فإن فيه صلاة) في باب اشتراط الطواف بالوضوء دون سائر المناسك.

وجدران عالية، و لذلك في الحروب عندما يقتحم باب المدينة فذلك يعني سقوطها.

في قصة يهود خيبر نجد أن حصونهم سقطت عندما انتزع أمير المؤمنين ذلك الباب و اقتلعه والرسول ﷺ يضع أمام عين سامعي حديثه هذا النموذج، نموذج المدينة القديمة التي ترتفع أسوارها و جدرانها ولا سبيل إلى أخذ شيء منها إلا بواسطة ذلك الباب. فيجعل نفسه تلك المدينة الحكمية والعلمية والمعرفية، وينزل عليا عليه السلام بمنزلة بابها، فمن أراد شيئا من المدينة العلمية تلك فليأت من الباب وإلا عد سارقا!! علم رسول الله لا ينال بكماله إلا من خلال ممر طبيعي و هو ممر الباب و ذلك الباب هو علي عليه السلام.

عندما نفهم قصد الحديث و جهته تصبح كل التفاسير المغلوطة مردودة،إذا جاء أحدهم وقال أن معنى (عليٌّ بابها) أن بابها عال و مرتفع و طويل نقول له أيها الإنسان جهة الحديث ليست في اتجاه الكلام عن الباب و أنه ألمنيوم أو

خشب أو أنه طويل أو عريض أو ضيق أو واسع إنما هي في جهة بيان أن هناك كنزا علميا في هذه المدينة و أن هذا الكنز العلمي لا ينال إلا بواسطة المرور عن طريق الباب. إن هذا مثل أن يقرأ أحدهم شعر شاعر قد شبه محبوبه بالقمر، فيقول أن القمر قد اكتشف فيه صخور وأتربة، فمعنى الشعر أن وجه المحبوب مجدر!! هذا خلاف المتفاهم في لغة العرب. لأن جهة التشبيه والتنزيل ليست في المجال الجيولوجي، وإنما نظر الشاعر إلى نور القمر، ورأى وجه محبوبه مشرقا، فنزله عليه.

كذلك عندما نعرف جهة التشبيه في هذا الحديث أيضا نرد الكلام الذي ينسب زورا إلى رسول الله ﷺ من تتمة الحديث حيث زعموا أن فلانا أركانها و فلانا جدرانها، نقول أيها الإنسان إن الرسول ليس في صدد بيان مخطط جغرافي لهذه المدينة حتى يتكلم عن حدائقها و مرافقها و عن شوارعها و عن أساساتها، نعم لو كان يريد أن يتكلم عن مخطط جغرافي لمدينة العلم تستطيع أن تسأله كم حديقة فيها و كم شارع و كم تقاطع، أما إذا كان الرسول في صدد بيان هذه القضية أن هناك

كنزا في هذه المدينة المغلقة و أن هذا الكنز لا ينال إلا بواسطة العبور عن طريق هذا الباب.

الحديث الآخر: «يا علي أنت مني بمنزله هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، هذا الحديث معروف بحديث المنزلة، نزّل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام منه بمنزلة هارون من موسى.

ويحتمل التنزيل هنا عدة وجوه: الوجه الأول أن الرسول يريد أن يشير إلى أننا أخوان كما كان موسى وهارون أخوين حقيقيين نسبيين، يعني التنزيل في جهة القرابة، وقد ورد في روايات أخر أن النبي تحدث عن علي باعتباره أخا له «أنت أخي ووارثي..» ولهذا تعجبت أم أيمن لما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم سائلا: أين أخي؟ فقالت: ومن أخوك؟ قال لها: علي! فقالت: أخوك وتزوجه ابنتك[1]!.

ويحتمل وجه آخر وهو الشراكة في الأمور والمشاورة والموازرة كما تحدث القرآن الكريم عن العلاقة بين موسى

---

(١) بحار الأنوار ٤٣/ ١٠٥

وهارون بلسان نبي الله موسى ﴿هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾[١].

ويحتمل وجه آخر ـ بعد استبعاد كونه نبيا كما كان هارون نبيا، بما ورد في آخر الحديث «إلا أنه لا نبي بعدي» ـ وهو موضوع الخلافة، والولاية على قومه بعد رحيله، ذلك أنه كما كان هارون خليفة في قومه بعد رحيل موسى إلى ميقات ربه كذلك علي بعد رحيل رسول الله.

عندما نأتي إلى الوجه الأول نقول أنه محتمل في نفسه لكن نلاحظ أن هناك فرقا بين الرسول و علي من جهة و بين موسى و هارون من جهة أخرى، أولئك كانا أخوين حقيقيين نسبيين بينما رسول الله وعلي ابنا عم و ليسا أخوين حقيقيين نسبيين، وإلا ما كان يمكن أن يتزوج علي من الزهراء عليها السلام، فكيف

(١)سورة طه آية ٣٠ – ٣٤.

يكون هذا التنزيل بذاك! فنستبعد هذا الوجه.

الاحتمال الثاني أن أنت مني بمنزلة هارون من موسى أي أنك نبي كما كان هارون نبيا و هذا يرده نفس الحديث «إلا إنه لا نبي بعدي». فيتعين الوجه الأخير و هو كما ورد في القرآن الكريم﴿ وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١). إن النبي يلجأ إلى مثل هذا التشبيه لأن الناس عندما يعلمون جهة التشبيه و التنزيل أن هارون كما ورد في القرآن الكريم كان خليفة و وصيا على قوم موسى بعد رحيل موسى، هذه العلاقة الثابتة بنص قرآني تنتقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام بواسطة التنزيل، فإذن.. لا بد من التوجه إلى كثير من الأحاديث التي من هذا النوع، الأحاديث التنزيلية، مثل حديث «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح..» قد يقول بعض إن وجه التشبيه هو أن أهل البيت قل أتباعهم، تماما مثلما أن الذين ركبوا في السفينة قليل ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا

(١)سورة الأعراف آية ١٤٢.

قَلِيلٌ ﴾[1]، لكن أقرب أوجه التنزيل هو أن سفينة نوح كانت بغرض أن تنقذ المؤمنين الراكبين فيها من الطوفان في وقت لم يكن هناك منجى ولا ملجأ إلا الركوب فيها، و أهل البيت من يتمسك بهم ينقذ من طوفان الانحراف، لذلك أيضا «من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق و هوى».

إذن.. الرسول في الحديث الأول يريد أن يبين هذا المعنى أن علمه لا ينال بكامله و تمامه وصفائه إلا من طريق أمير المؤمنين. وما لدى أمير المؤمنين من علم هو جزء من علم رسول الله حيث يقول عليه السلام: «علمني رسول الله ألف باب من العلم...».

الإمام علي تعلم من رسول الله بمقدار جعله يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات فلأنا أعلم بها من طرق الأرض» و ما قالها أحد قبله و لا بعده إلا افتضح.

١) سورة هود آية ٤٠.

هذا كله من فضل علم رسول الله ﷺ. إنا عندما نقدر الإمام عليا و نحترمه و نعزه فإنا بذلك نعز و نحترم و نقدر الرسول لأن عليا كان معجزة من معاجز رسول الله. الرسول أدب عليا و علمه حتى قال علي عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ أدبه الله عز وجل وهو أدبني» و رسول الله يقول: «أنا أديب الله و علي أديبي»[1]، يعني إن الرسول تربى على يد الله مباشرة حيث صاغ أخلاقه و علمه و صفاته و اصطفاه و اجتباه حتى خلقه في هذا الخلق وجاء علي و تتلمذ و تأدب على يد رسول الله حتى صار بهذه الصورة المعنوية الكاملة، فنحن إذا مدحنا عليا فكل مدح له يرجع إلى الرسول ﷺ.

سلوني قبل أن تفقدوني

ومن ذا يضاهيه بمجد و لم يزل

يقول سلوني ما يحل و يحرم

(١) ميزان الحكمة ١/ ٥٨

سـلوني ففـي جنبـيَّ علـم ورثتـه

من المصطفى ما فات مني به الفـم

سـلوني عـن طـرق الـسماوات إنني

بها عن سلوك الطرق في الأرض أعلم

ولـو كـشف الله الغطـا ليَ لم أزد

يقينا على ما كنت أدري و أعلـم

وينبغي أن نؤكد على ملاحظة وهي أن تذكيرنا بعلـم أمـير المؤمنين ليس لأجل أن يتفاخر شيعته بـذلك، وإنـما لنقـول أن من يمتلك مثل هذا البحر المحيط من العلم فـلا يـسوغ لـه أن يبقى جاهلا، حرام علينا أن يكون لدينا مثل علي بن أبي طالـب ومع ذلك يكون مستوانا المعرفي واطئا.

لاحظ أن عليا الذي تتولاه يقول سـلوني مطلقـا، وهنـاك فرق بين أن يقول أحـد سـلوني في شيء محـدد و مقيـد، فيعنـي

ذلك أنه يعرف في ذلك الجانب، و بين أن يقول سلوني مطلقا.

لا أحد يستطيع في زماننا ولا غيره - من غير المؤيدين بالعلم الإلهي - يدعي أنه يعلم كل المسائل الشرعية و علوم الفلك و الفضاء و علوم القرآن و غير ذلك. الإمام عليه السلام يقول: سلوني و لم يقيد بشيء، سلوني عن كل شيء خطر ببالكم و من العلوم الأرضية و بل من العلوم السماوية و أنا في معرفتي بعلوم الملكوت أكثر من تسلطي على علوم الملك و الأرض «سلوني عن طرق السماوات فلأنا أعلم بها من طرق الأرض».

بعض المتكلمين يسألون لماذا قدم السماوات على الأرض، لماذا قال أنا أعلم بتلك من هذه، مع أن مقتضى الحال أن يعرف ما هو قريب منه، يقول لك هذا جنس علم علي، و سنخ علم علي ينتمي إلى ذلك العالم، لذلك هو أقرب إلى عالم السماء، شخصيته سماوية، تعلق قلبه سماوي، هدايته سماوية، تفكيره في السماء قبل الأرض، لذلك يقول أنا أعلم بذلك العالم مني بهذا

العالم، لو أردت ـ عزيزي ـ معرفة سعة هذه الكلمة: سلوني عن طرق السماوات آت لك بهذا المثال.

أنت الآن جالس هنا، ولا تستطيع و أنت جالس هنا أن تحيط بما في الشارع و ما في البلد و ما في كل هذه البلاد المجاورة، لأنك مظروف في هذه الحسينية، وهذه الحسينية تعتبر صغيرة جدا بالنسبة إلى العالم الخارجي، هذا المكان قطعة أرض من جزء من شارع و هذا الشارع واحد من عدد كبير من شوارع البلد و البلد جزء من عدة بلاد في هذه الدولة، و الدولة جزء من عدة دول في قارة و القارة جزء من عدة قارات في هذه الأرض، هذا كل يسمى عالم الملك و إذا كنت تريد أن تقيس عالم الملك، بعالم الملكوت قس علمك بما في هذه الحسينية و غيبة ما وراء المسجد والحسينية عنك.

لا شك أنك ستجد النسبة بينهما نسبة عظيمة جدا، وأكبر منها النسبة بين عالم الملك الذي نعيش فيه، عالم الخلق الظاهر بالنسبة لنا و عالم الملكوت الذي لا يظهر إلا لأولياء الله بإطلاع

الله لهم عليه، الإمام أمير المـؤمنين يقـول إن هـذه الأرض و مـا فيها من علوم و قضايا و مسائل أصغر وأقل بكثـير ممـا هـو في السماوات، وعلمي بما في السماوات أكثر من علمـي بـالأرض، سلوني عنها كلها، سلوني عن كل شيء يخطر ببالكم، و ما قالهـا بعده أحد إلا افتضح.

يأتي مقاتل بن سليمان[1] إلى مسجد الكوفة بعد شهادة أمـير المؤمنين بمدة فيتكئ على أسطوانة و يقول: أيها النـاس سـلوني عما دون العرش، قام له رجل قال له: يا مقاتل، من حلـق رأس آدم أول ما حج ؟ فسكت..

وقام له رجل آخر و قال لـه:هـذه مـسألة لم تجـب عليهـا وسأسألك عن مسألة أخرى في علم الحيوان، أمعـاء النملـة في

(١) مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠، وصفه الرجاليون بأنه كذاب دجال وضاع، عده النسائي من الكذابين المعروفين بوضع الحديث على رسول الله ﷺ، كان يقول لأبي جعفر المنصور: انظر ما تحب أن أحدثه فيك حتى أحدثه، وقال للمهدي: إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس؟ قال: لا حاجة لي فيها عن الغدير ـ الشيخ الأميني ج ٥ص ٢٦٦

الإمام أو في الخلف؟ فسكت و لم يجب على ذلك و قال ما أظنك إلا شيطانا بعثك الله لتفضحني[1].

ويأتي شخص آخر فيدعي بنفس الكلام، فيُسأل: ما تقول في امرأة غاب عنها زوجها فذهبت و تزوجت و بعد زواجها و الدخول بها عاد زوجها و قد حملت؟ فتلجلج فقال: أو حصل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تسأل عما لم يحصل،قال: نستعد له إذا حصل!. أنت تقول سلوني عما دون العرش و هذه مسألة فقهية، فماذا عن المسائل الكلامية و لا زلنا في الأرض لم نصل إلى الملكوت، فافتضح و سكت و انسحب.

لا تدّعِ منصبا ليس لك، و لا تدعِ شيئا لا تستطيعه، و لا ترفع راية ثم تعجز عنها..

عادة الإنسان العالم إذا اشتغل بالقضايا الخارجية الظاهرية يتراجع عطاؤه الفكري، الذي لا يخرج من حرب إلا

(١) ذكر ذلك كل من تعرض لترجمه، فقد ذكر في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق، والكامل وغيرها.

ليدخل أخرى معرض للتراجع الفكري لانشغاله بالممارسة القتالية، بينما الذي وصلنا من علم علي ـ وهو القليل مما كان لديه ـ بالرغم من أنه لم يضع عن عاتقه السيف أيام خلافته وولايته. وكان يكرر «سلوني قبل أن تفقدوني» حتى وهو في آخر ليالي حياته المباركة وعلى فراش منيته.

أمير القيم الأخلاقية

قال ضرار بن ضمرة يصف أمير المؤمنين عليا عليه السلام : كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن. كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استفتيناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له. يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات هيهات قد

باينتك ثلاثا لا رجعة لي فيها فعمرك قصير وخطرك حقير آه من قله الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق[1]!!

ما الذي يجعل المنصفين يعشقون علياً؟ وما الذي يجعل العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم يقدسون علياً؟ وما الذي يجعل الحاقدين ـ في نفس الوقت ـ يكرهون عليا ويبغضونه ويحقدون عليه؟.

العجيب هو أن سببا واحدا هو الذي يجعل الفئة الأولى من المنصفين والعارفين وذوي النفوس العظيمة والأهداف السامية يتغنون بذكر علي عليه السلام، ويُقرون بفضل علي عليه السلام. ونفس ذلك السبب يجعل الطرف الآخر من صغار الأنفس حاقدين عليه، وكارهين له.

علي هو أمير القيم الأخلاقية!! ففيما تجد الفئة الأولى أن نفسا عظيمة كنفس أمير المؤمنين عليه السلام قد ارتقت حتى بلغت

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ج ١٨ ص ٢٢٥

أقصى ما يمكن الوصول إليه، ويعلمـون مـا الـذي يعنيـه هـذا الأمر؟ فيكبرون فيه هذه النفس العظيمة والجلال المحلق.. تجد الصغار البائسين والزاحفين على أرض الشهوات، والـساقطين في دركات المطـامع، مـن الـذين لا يـستطيعون صـعود بعـض درجـات هـذا الـسلم يجـدون عليـاً كنجمـة في الـسماء سـامية يحسدونه بل يحقدون عليـه ويبغـضونه لأنـه بـذلك يفـضحهم ويظهرهم على حقائقهم، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[1].

علي عليه السلام تجسدت فيه أروع القيم وأفـضل الأخلاقيـات التـي وجـد حتـى غـير المـسلمين، في تجـسدها في عـلي بـن أبي طالب عليه السلام ميزة ترفعه في نظرهم إلى مصاف الأنبياء العظـام[2]

---

(١)سورة النساء آية ٥٤.

(٢) قال بولس سلامة القاضي والشاعر المسيحي في ملحمة الغدير:

جلجل الحب في فؤاد المسيحي حتى عد من فرط حبه علويا
أنا من يعشق البطولة والإلهام والعدل والخلاق الرضيا
فإذا لم يكن علي نبـــيـــا فلقد كان خلقه نبـــويا

وإن لم يكن نبيا!! فكيف بلغ علي عليه السلام ما بلغ من كونه أميرا للقيم العالية؟ نحاول أن نلقي نظرة خاطفة سريعة على هذا الجانب[1]، ثم نلقي نظرة أخرى على الواقع الذي يحيط بنا ونتعامل معه حتى نرى إلى أي مقدار وصل الأمر بالقيم في مجتمعنا.

أول ما نراه في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وهو سر الانطلاق والسمو وسبب الرفعة التي حازها عليه السلام.

ترويضه لنفسه

خلق الله هذا الإنسان وجعل فيه قطبين متخالفين، جعل فيه العقل و الإرادة من جهة وجعل فيه الهوى والشهوة من جهة أخرى، والعلاقة بين الإرادة والعقل من جهة ، والهوى

(١) بالطبع سيكون حديثنا مقصورا على ما فيه جهات الاقتداء والتأسي، والأفعال الاختيارية دون الجانب الغيبي والإلهي، الذي لا يمكن إنكاره بوجه، ولكنه ليس في مقدور الإنسان العادي أن يقتدي به.

والشهوات من جهة أخرى علاقة تخالف وتعاكس، فطالما زاد الإنسان في توفير جانب منهما نقص في جانبه الآخر.

ولذا فقد يستطيع إنسان أن يخمد نداء الجسد وأن يروض شهوته حتى تصبح طائعة مأمورة له، أن يجعل نفسه أميراً على بطنه وقائداً لشهوات فرجه فلا يتحرك بطنه في شيء إلا بإرادته ولا يتحرك في جهة إلا ضمن ما كان يريد هذا الإنسان. ويصعد ويصعد حتى يصل إلى مثال الروح المجرد الذي لا يشتهي إلا ما يحب الله ولا يبغض إلا ما يكره الله ولا يريد إلا ما يريد سبحانه وتعالى.

تجد نفسه هنا لا أمر لها عليه ولا نهي، وشهواته هنا لا تستطيع أن تحركه إلا بمقدار ما ينسجم مع خط إيمانه بالله، هذا الإنسان إذا صعد في المستوى فقد وقي من شر عظيم جداً وأصبح قياده بيده.

المشكلة هي في الصورة المقابلة، عندما يكون الإنسان أسير هوى نفسه وعبد شهوات بدنه تجده يخمد نداء العقل

ويسكت صوت الضمير ويقدم في المقابل ما كان قد توجه إليه من الهوى والشهوة، فرجه يحركه للزنا ولمتابعة أعراض الناس وبطنه يحركه لأكل الحرام ويده لسرقة أموال الناس وإذا تحرك عقله أو وبخه ضميره تجده قد قمع عقله واسكت ضميره.

العلاقة هي علاقة تعاكس، ومخالفة كلما أرخى المرء حبل جهةٍ، نقَص من جهة أخرى وهذا هو البلاء الذي يبتلى به الإنسان، ففي الحديث «من وقى شر بطنه وفرجه دخل الجنة» لماذا؟ لأن هذا البطن والفرج وما بينهما من الشهوات ومن الغرائز والأعمال هي التي تردي الإنسان في مواضع السقوط إلى أن يصل إلى النار، هنا يأتي مثال أمير المؤمنين عليه السلام، يقول: «وأيم الله يمينا أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما، وتقنع بالملح مأدوما»[(١)]: يعني: أضغط على نفسي بمقدار يكون خبز رغيف بالنسبة لها طموحا لا تستطيع أن تصل إليه، ولا أعطيها كل ما تريد، وذلك كما يقول:

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ج ٣ص ٧٤

وإنــك مهــما تعطــي فرجــك كلــه

وبطنك نالا منتهى الـذم أجمعـا

إذا مددت الحبل لبطنـك وفرجـك، ومـددت لـشهواتك ونفسك ما تريد يُصبك الذم في الدنيا وتنل العقاب في الآخرة.

وأمـير المـؤمنين يقـول أنـا أروض نفـسي لـيس فقـط لا أستجيب لها في الحرام، ليس فقط أمنعها عن الحرام وإنما حتـى المباحـات. وأروضـها وأكـسر شـهوتها إلى حـد أن تتـصور أن الرغيف بالنسبة لها طموح والملح سيعتبر إداماً مهماً لو حصلت عليه.

لا تتصور أن أمير المؤمنين عليه السلام عنده علاقـة خاصـة مـع هذا الـشيء الخـشن، لأنـه خـشن، وإنـما لأن ذلـك يـؤدي إلى ترويض النفس، وتقوية الإرادة فيجعلها الحاكمة على نفسه.

لقد ذُكر في أحـوال أمـير المـؤمنين في هـذا المجـال الـشيء الكثير:

فقد رآه سويد بن غفلة[1] وهو يأكل رغيفا يكسر بركبتيه ويلقيه في لبن خازر يجد ريحه من حموضته، قال:

فقلت: ويحك يا فضة أما تتقون الله تعالى في الشيخ فتنخلون له طعاما!! لما أرى فيه من النخال.

فقال أمير المؤمنين: بأبي وأمي من لم يُنخل له طعام ولم يشبع من خبز البر حتى قبضه الله ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ

ولقد ترصد غذاءَه عمرو بن حريث[2]، فأتت فضة

---

(١) سويد بن غفلة الجعفي توفي سنة ٨٠ هـ وهو ابن مائة وعشر سنوات وقيل أكثر!!: من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والحسن المجتبى عليه السلام ولم يدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أنه جاء إلى المدينة فقبض رسول الله إلى خالقه قبل وصول سويد، وعد من أولياء أمير المؤمنين وشهد معه صفين وكان إذا سئل يروي قضاء الإمام في المسائل، ولهذه الجهة فقد نسب إليه كذبا أنه روى عن الإمام: لا أوتى برجل يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري!! وقد روى عنه جابر بن يزيد الجعفي. كان زاهدا عابدا وهو ثقة عند الفريقين.

(٢) عمرو بن حريث: يوجد عدة أشخاص بهذا الإسم، منهم الأسدي وهو ثقة من أصحاب الصادق عليه السلام، وهو ليس المقصود هنا، وإنما

بجراب مختوم فأخرج منه خبزا متغيرا خشنا فقال عمرو: يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيبته! قالت كنت أفعل فنهاني وكنت أضع في جرابه طعاما طيبا فختم جرابه.

ثم إن أمير المؤمنين فتَّه في قصعة وصب عليه الماء ثم ذرّ عليه الملح وحسر عن ذراعه فلما فرغ قال: يا عمرو لقد خانت هذه، ومد يده إلى محاسنه ـ لحيته ـ، وخسرت هذه إن أدخلتها النار من أجل الطعام وهذا يجزيني.

ورآه عدي بن حاتم[1] وبين يديه شنة فيها قراح ماء

المقصود هنا هو المعاصر لرسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وممن كان في أول أمره يظهر ولاءه للإمام إلا أنه في ما بعد، أبى بيعة أمير المؤمنين وبايع ضَبًّا(!) نعم ضبا بظاهر الكوفة!! ومنذ ذلك الوقت كان قد التحق بالركب الأموي، ولهذا كان زياد بن أبيه ـ بعدما جمعت له البصرة والكوفة ـ كان إذا خرج إلى البصرة ولّى على الكوفة عمرو بن حريث! وتوفي في الكوفة سنة ٨٥ هـ. وكان ممن أعان على قتل حجر بن عدي الكندي وأصحابه.

(١) عدي بن حاتم الطائي: من أصحاب رسول الله ﷺ وخلص شيعة أمير المؤمنين وابنه الحسن عليهما السلام، أسلم سنة ٧ هـ واستعمله رسول

وكسرات من خبز شعير وملـح فقـال إني لا أرى لـك يـا أمـير المؤمنين لتظل نهارك طاويا مجاهدا وبالليل سـاهرا مكابـدا ثـم يكون هذا فطورك!

فقال عليه السلام :

علل النفس بالقنوع وإلا   طلبت منك فوق ما يكفيها[1]

يعني: هذا البطن بالتالي يشبع بهذا الخبز أو بـذلك الـشيء الحـرام، فـإذا أعطيـت قيـادة نفـسك إلى هـذا الـبطن أوردك المهالك.

الله صلى الله عليه وآله وسلم على صدقات قومه، وتوفي سنة ٦٨ هـ بعد أن شهد مع أمير المؤمنين مشاهده في الجمل وصفين، وذهبت عينه في حرب الجمل. كان شجاعا وشديد العارضة، وقد واجه معاوية مرارا في مجلسه حتى بعد خلافته منها قوله: «إن حرجمة الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي عليه السلام، فسل السيف يا معاوية يبعث السيف»، واستشهد ثلاثة من أولاده في ركاب أمير المؤمنين عليه السلام وحروبه.

(١) مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٦٧

جاءت له ابنته أم كلثوم بإناءين في أحدهما خبز وملح وفي الآخر لبن حامض، فقال لها: يا بنية متى عرفت أباك يأكل من إناءين؟ ارفعي احدهما لا أزال مؤتسيا بسنة حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مادمت حيا، فقد فارق هذه الدنيا ولم يشبع قط.

هذا العنصر الذي كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو نفسه عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي جعل علياً نفس الرسول لا بد أن يمشي على نفس الطريق.

يقول عليه السلام: أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع؟. قرَّت إذاً عينُه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية[1]!

أيكون غاية أمر الإنسان أن يأكل كثيراً و ينكح كثيراً وأن يلبي شهواته! ما الفرق بينه وبين البهائم؟ أكرمه الله سبحانه وتعالى بأن جعل عقله قائدا وإرادته وزيرا فإذا به يسلم قياده

---

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٠.

وعقاله لشهواته وبطنه!

كان أمير المؤمنين عليه السلام يروض نفسه رياضة، يضغط عليها ويهينها ليكرمها، لا يستجيب لحوائجها وضغوطها لكي يصعد في عالم القيم والعقل والمثال ويصبح علياً الذي نعرفه، وإلا لو كان علي بن أبي طالب عليه السلام يستجيب لنداء الشهوات ما فرقه عن أعدائه آنئذ؟ ما الذي يميزه عن قاتله وعن من حاربه؟ ذلك الرجل استجاب لشهوة الجنس لكي يتزوج من قطام لعنة الله عليهما.. من أجل شهوة جنسية أقدم هذا الرجل اللعين على قتل علي بن أبي طالب.

عدوه في الطرف الآخر معاوية وآخرون حاربوه، إنما كانوا يحاربونه من أجل أن يشبعوا شهواتهم ويملئوا بطونهم..فإذا كان علي بن أبي طالب لا يخالف مسلكهم فلماذا حاربهم؟ وما هو الفرق بينه وبينهم؟ الفرق هو أن هذا تحول إلى نفس عالية لا تصغي لنداء الجسد إلا بمقدار ما شرع الله سبحانه وتعالى بل دون ذلك فهو يحرمها من المباحات لكي تنطلق في فضاءات التكامل..

رهافة الإحساس

إن أعظم مستوى نفسي يستطيع إنسان الوصول إليـه هـو أن يكـون قلبـه كـالوتر الـذي تحركـه دمعـة يتـيم، أو اسـتغاثة مظلوم، أو أنة ضعيف!

وأقسى شيء يصيب الإنسان فيقضى على قلبه هو أن يفقد الإحـساس، هـذا بـدنك إذا فقـد الإحـساس لا تـستطيع أن تستفيد منه، فـربما تـشتعل النـار في أطرافـه وأنـت لا تـشعر!! والمشكلة عند بعض الناس أن حواس الجسم موجـودة ولكـن حواس القلب غير موجودة والمشاعر ميتـة، إذا أصـيب إنـسان بهذا الداء انتهى هذا الإنسان[1].

لماذا كان خشوع القلب مطلوبـا ومـوت القلـب وقـسوته مذموما؟

خشوع القلب وحيويته وتنامي الإحساس فيه يؤثر تـأثيرا

(١) في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب». ميزان الحكمة ج ٣

كبيرا في الإيمان، فـ «إنه لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبـه» كـما في الحـديث[1] عـن رسـول الله ﷺ. بيـنما القلـب القـاسي وعديم الإحساس يكون مرتعا لفتنة الشيطان والأفكار الباطلة ﴿لِيَجْعَـلَ مَـا يُلْقِـي الـشَّيْطَانُ فِتْنَـةً لِلَّـذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[2].

القلب القاسي الخالي من الإحساس لا تحركه الموعظة ولا تستطيع أعظم المـؤثرات بـل ولا أفـضل الخطبـاء والمتكلمـين التأثير الإيجابي فيه، انظروا إلى القـرآن الكـريم الـذي فيـه مـن التأثير ما ﴿لَـوْ أَنْزَلْنَـا هَـذَا القـرآن عَـلَى جَبَـلٍ لَرَأَيْتَـهُ خَاشِـعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[3]، لكنه عندما يتلى على هذا الإنـسان ويوعظ به عشرات بل مئات المرات لا يتأثر بـشيء. هـذا ميـت الأحياء، هذا جنازة متحركة على رجلين.

وفي المقابل لننظـر إلى ذلـك القلـب العظـيم الـذي يقلـق

(٢)سورة الحج آية ٥٣.
(٣)سورة الحشر آية ٢١.

لأجـل المستـضعفين، وتتوقـد مـشاعره وأحاسيـسه لأجـل المظلومين، هذا أمير المؤمنين عليه السلام يتأسف أن امرأة مـسلمة أو يهودية أو مسيحية في بلده قد ظُلمت واهتضمت على يد الفرق المسلحة التي كان يبعثها معاوية بن أبي سفيان، لتثـير الـذعر في القـريبين مـن حـدود الـشام، فيـدعو عليه السلام بالنـاس: الـصلاة جامعة ويبدأ في خطابهم وعتابهم «وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبـار وأزال خـيلكم عـن مـسالحها وقتـل حـسان بـن حسان البكري ولقد بلغني أن الرجل مـنهم كـان يـدخل عـلى المرأة المسلمة والأخرى المعاهَدة فينتزع قلبها وقلائدها ورعثها ما تمتنع عنه إلا بالاستعطاف و الاسترحام ثم انصرفوا وافـرين ما نال أحدا منهم كَلمٌ (جرح) ولا أريق لهـم دم، فلـو أن امـرءً مسلما مات من بعد هذا أسفاً مـا كـان عنـدي ملومـا بـل كـان عندي جديرا».

بل إنه ينفتل من صلاته ويتعجـل فيهـا، لوجـود امـرأة في حاجة، حتى إذا سمع مظلوميتها بكى، وأجابها في مـا طلبـت: فقد ذكرت سودة الهمدانية ـ وقد جُلبت لمعاوية ـ قـضيتها مـع

أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت:

والله لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائما يصلي، فلما رآني انفتل من صلاته ثم أقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطف، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد علي و عليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها: «﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأرض بَعْدَ إصلاحهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1]، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام». ثم دفع الرقعة إلي، فو الله ما ختمها بطين ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولا[2]..

(١)سورة الأعراف آية ٨٥.

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٤١ص ١١٩

بين هذه الصورة التي تمثل القلب المستجيب والضمير الحي الحساس، وبين حال بعض المسلمين من موت الإحساس، حيث ترى المذابح و المجازر و الجرائم ترتكب ولا يتحرك إنسان حتى على مستوى الامتعاض و التأثر، فرق هائل وبون بعيد.

أمير المؤمنين عليه السلام هذا الإحساس المرهف بآلام الآخرين عنده، هذه الشهامة وهذه المروءة و النجدة التي تجعل أمير المؤمنين ليس فقط يتأثر إذا رأى مظهراً من مظاهر المظلومية في أي مكان من الأماكن ليس فقط يتأثر وإنما يقوم بالتحرك. يمر على امرأة وهي في عز الظهيرة خارج بيتها.. أمة الله لماذا أنت جالسة على قارعة الطريق؟ فبكت قالت إن زوجي يظلمني، وأقسم إن رجعت إلى الدار قتلني بسيفه!

فقال عليه السلام قومي وأرشديني إلى بيت أهلك. ذهبت معه إلى بيت زوجها وهي خلفه طرق الباب وخرج شاب وعليه المعصفرات، قال له: يا عبد الله هذه زوجتك في الطريق!!

أرجعها إلى بيتها!! قال وما شأنك أنت بذلك؟ وما الذي أدخلك بيننا؟

قال أنا آمر بالمعروف، قال الشاب: والله لأحرقنها عقاباً لشفاعتك فيما بيننا، فسل أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وقال: له ويحك!! أمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وترد على هذا الرد والله لئن لم تدخلها إليك قسمتك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا ودخل النار وأنا أبو الحسن، هنا انتبه هذا الشاب أنه أمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأهوى على قدمي الإمام يقبلهما ويقول له يا أبا الحسن اعف عني عفا الله عنك، والله لأكونن لها تراباً تطأني برجلها، قال له: لا، ثم التفت إلى زوجته وقال لها: يا أمة الله إياك أن تغضبيه.

يترك شأنه ولكن يسعى في قضية امرأة تعاني من مشكلة، حتى لو كانت مشكلة شخصية بينها وبين زوجها، فضلا عن القضايا العامة التي تهم الناس جميعا.

هذه الشهامة والمروءة والنخوة ودفقة الإحساس هي التي تجعل الناس يتعشقون في علي بن أبي طالب هذا السمو

الإنساني.

في جهاته الشخصية هو منتصر على ذاته والإنسان يعـرف كم هو صعب على الإنسان أن يتحدى ذاته، أنـا وأنـت نعـرف أن هذا الذات متمـردة وهـذه الـنفس قويـة وهـذه الـشهوات جامحة، فإذا وجدنا واحداً من الناس يقول عن نفسه (أنا كـاب الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها) ولا تهمني، ويخاطبهـا: غـري غيري! لا يهمني المال والجاه والـسلطان ولا شيء يحركنـي عـما يريده الله سبحانه وتعالى! إذا قال إنسان هكذا وفعل نحن نعلم ما الذي يعني ذلك من سيطرة لهذا الإنسان على نفسه، ساعات نحن نصوم عن الطعام والشراب، وعنـدنا موعـد أننـا سـوف نأكل ما لذ وطاب بعد ساعات من النهار، مع ذلك هـو عـسير علينا ولـو اسـتطعنا سـبيلا لتركـه لتركنـاه، فـما ظنـك بـذلك الإنسان الذي يعيش ستين سنة من حياته عـلى هـذه الطريقـة: لأروضن نفسي رياضة أسيطر عليها ولا تسيطر عـلي! أسـيّرها ولا تسيّرني.

ومن جهة أخرى أداؤه في المجتمع من إحساس بألم الناس ومن شهامة في حل مشاكلهم، هذه هي النفس الكبيرة التي يتطلع إليها الأبرار والصالحون والعارفون والمؤمنون بل المنصفون من البشر فيجدون فيها أفقا رحباً وسماء عالية.

هذه بضع كلمات قاصرات عن حق علي بن أبي طالب عليه السلام !

مجتمعنا وفساد الذمم المالية

انظر إلى هذه الأرض التي نعيش فيها بعد أن عشنا في سماء علي، انظر كيف يستلب المالُ دينَ الإنسان في هذا الزمان؟ وانظر إلى فساد الذمم ، وانظر إلى حقارة بعض الناس إلى انسياقهم إلى وراء هذا النداء، الإمام يقول غري غيري ولسان حالنا يقول لا تذهبي إلا إلي لكي تغريني، هذا حال بعضنا: يجعل المال قبلة وقائداً ورسولاً ونبياً ويركض خلفه، إن من حرام جاء انتهبه أو من حلال جاء أخذه أومن شبهة ضمه!

هكذا أصبح الحال عندنا أيها الإخوة فيما يرتبط بالأمور المالية! في هذا اليوم أصبح من الغريب أن يُقرض إنسانٌ آخرَ.. لماذا؟ لما يحصل في هذا المجتمع من إنكار لديون ومن تعد عليها ومن سرقة لها، أين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يكب الدنيا وهي حلال له؟ أكوام من الذهب والفضة تأتي إلى بيت المال فلا يمسي المساء حتى يفرقها بين المسلمين ثم يكنس بيت المال ويصلي فيه ركعتين ويقول هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه.

انظروا إلى الحالة التي وصلت إليها مجتمعاتنا في هذه الجهة، بدل أن نروض أنفسنا على مقاومة الحرام وعلى مقاومة الشهوة الخاطئة وعلى مقاومة السرقة العلنية أو السرية، أصبح قسم منا يركض وراء المال وكأنه لا توجد لا جنة ولا نار.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب بعضهم يقول: «ويلكم ألا ترجون الحساب، ألا تخافون يوم المعاد».

بعض الصور التي تنقل لا يصدقها الإنسان، منها ما هو

ظلم ومنها ما هو خسران، ومنها ما هو عبودية للمال.

نقل بعضهم أن امرأة تزوجها رجل وكان يتظاهر في البداية بالتدين والإيمان وهي امرأة ذات جمال وثراء حتى إذا خطبها وتزوجها ظهر الأمر على حقيقته وبان المخفي فإذا بهذا الرجل لا يساوي أحد نعليها، لا التزام ولا إيمان ولا أخلاق ولا عمل! وبدأ يتحكم فيها فطلبت منه الطلاق وقالت أنا أرد إليك ما خسرت من مهر ومن نفقات، أنت تشرب الخمر ولا تصلي وتارك الصلاة على حد الكفر بالله (ما بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة) أطلق أسري وفك سراحي وأنا أرد إليك ما أخذته منك من مهر، مع أنه حقها الشرعي، قال لها لا أصنع ذلك، قالت: أختلع منك (أي أرد لك المهر وأعطيك فوق ذلك مالاً لكي تطلقني عليه) ، قال لا بأس ولكن تعطيني مليون ريال!! المهر الذي دفعه هو عشرون ألف بينما يريد هذا المبلغ الباهظ!!

انظر إلى هذا النموذج من الناس وأمثاله حيث هناك

نماذج أخرى، تصلنا مثلاً كلمات من بعض النساء أن زوجي يضربني ويأخذ راتبي! مع أن أخذه الراتب من الناحية الشرعية حرام عليه، يأكل سحتاً، يضع في بطنه النار ما دام بغير رضاها وطيبة نفسها..

إن ما نلاحظه أن هناك تراجعا في المؤشر العام للقيم الأخلاقية في المجتمع في أكثر من مجال، ولا بد أن يتم الالتفات إلى هذا.. في مجتمعنا نحن الذين نتشرف بالانتماء لإمامنا أمير القيم أمير المؤمنين عليه السلام، والمفروض أن الإنسان يسير على نهج سيده، وإمامه..

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتفضل على مجتمعنا بنفحة من أخلاق أمير المؤمنين وأن يوفقنا لمعرفة علي بن أبي طالب والاقتداء به.

أمير المؤمنين عليه السلام شاباً

من كلام لسيدتنا و مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام: «وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا ـ والله ـ منه نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله! والله لو تكافئوا على زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله لسار بهم سيرا سجحا لا يُكلم خشاشه ولا يُتعتع راكبه ولأوردهم منهلا رويا فضفاضا تطفح ضفتاه ولأصدرهم بِطانا قد تحرى بهم الري غير متحلٍّ منهم بطائل ولفتحت عليهم بركات من السماء وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون..»[1]

مواضع الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام متعددة ومتشعبة تعدد جهات شخصيته و تنوعها. البعض من الناس

(١) ـ بلاغات النساء ـ ابن طيفور ص ٢٠.

يمكن أن يحصر في جانب فتُتناول حياته و قضاياه و تنتهي، و البعض الآخر هم معاجز و لذلك يعجز الحديثُ عنهم المتحدثَ. على معجزة رسول الله ﷺ، معجزة التربية المحمدية ولذلك فان مناحي حياته أيضا هي معجزة، وعبثا يحاول الإنسان عندما يريد أن يُلم بتلك الجوانب كلها ، فإن:

غاية الشعر في علاك ابتداء ليت شعري ما تصنع الشعراء

و

بسمائك الشعراء مهما حلقوا لم يبلغوا من ألف ميل ميلا

لكن علينا أن ننتخب من هذا البستان العلوي ما هو قريب لواقعنا وما هو حجة علينا و ما يكون مصباحاً و سراجاً لنا في حياتنا، ونتناول الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام شاباً.. كيف كان يعيش؟ وما هي اهتماماته؟ و ما هي قضاياه؟.

وتبرز أهمية هذا الموضوع، لأننا نجد أن فئة الشباب هي التي يفترض أن عليها بناء المستقبل وبواسطتها سيدار المجتمع

و تُقاد الأمة، ولذلك ينبغي التفكير جدياً في بناء هذه الفئة.

والجهة الأخرى أننا نجد الحملة التغريبية بعد العولمة و انهيار الحدود في المعلومات والفكر والثقافة تخاطب بالدرجة الأساس هذه الفئة من أبناء المجتمع فتحاول أن تصوغ أفكارها و طريقة حياتها وتوجهاتها واهتماماتها بل حتى تعين لها أهدافها و لا تصب هذه الأمور ـ بالضرورة ـ في الاتجاه الصحيح بل كثيرا ما كانت في الاتجاه المقابل الذي لا ينفع الشاب نفسه ولا يخدم أمته ودينه.

لذلك كان ضرورياً أن يتطلع الإنسان إلى نموذج من الطراز الأول، ومثال ـ بعد رسول الله ﷺ ـ هو الأفضل، لكي يجعله قدوة في جميع مراحل حياته لاسيما في مرحلة الشباب.

ما هي صفات أمير المؤمنين عليه السلام وهو شاب؟

يمكن لنا أن نلحظ عددا من صفاته عليه السلام، خلال هذه الفترة:

الصفة الأولى: انتماؤه للرسالة

أول من أسلم قاطبة كان علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا الكلام أيضا فيه تجوّزٌ، لأن علياً لم يعبد غير الله، و لم يشرك بالله كما فعل غيره ثم أسلم، غير شيعته يسلمون عليه بهذه الكلمة (كرم الله وجهه) وبالفعل هو كريم الوجه، لأنه لم يعبد غير الله ولم يسجد لصنم ولم يخضع لوثن، ولكن على جاري العادة وكما يقول المؤرخون علي كان أول من أسلم وعمره حينئذ بين السابعة والثامنة[1] و قد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيعة علي له و إظهار إسلامه بالرغم من أن المرتكز عند المتشرعة أن الطفل الصغير لا عبارة له ولا موقف ولا يترتب على كلامه شيء، لكن هذا ـ صورةً ـ صغير وهو عند الله عظيم، لذلك يقبل منه رسول الله و يبايع و هو في ذلك السن حتى أن بعض المخالفين

(١) رأى السيد هاشم معروف الحسني أن عمر أمير المؤمنين عليه السلام كان حينئذ قريب الرابعة عشر، راجع كتاب المنهاج: مشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي.

عندما جاءوا إلى هذه المسألة قالوا كيف يقبل رسول الله ﷺ إسلام علي؟ إسلام غيره كما يزعمون جاء عن تفكير و عن تدبر بينما علي بن أبي طالب كان صغير السن فلما أسلم كان منساقاً بغير العقل، و ما علموا إنهم بذلك يطعنون رسول الله ﷺ ، الذي أكثر الحديث عنه انه أول القوم إسلاماً[1] و انه

(١) نقل العلامة الشيخ الأميني في موسوعته الغدير ج ٣ ـ ص ٢٢٠ كثيرا من الأحاديث حول أولية علي عليه السلام وسبقه لكل أحد، فليراجع، ونذكر بعضها منه:

قال رسول الله ﷺ : أولكم واردا ـ ورودا ـ على الحوض أولكم إسلاما علي بن أبي طالب. أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ ص ١٣٦ وصححه والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ويوجد في الاستيعاب ٢ ص ٤٥٧. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨ وفي لفظ: أول هذه الأمة ورودا على الحوض أولها إسلاما علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. السيرة الحلبية ١ ص ٢٨٥. سيرة زيني دحلان ١ ص ١٨٨ هامش الحلبية. وفي لفظ: أول الناس ورودا على الحوض أولهم إسلاما علي بن أبي طالب مناقب الفقيه ابن المغازلي. مناقب الخوارزمي. ٢ قال ﷺ لفاطمة: زوجتك خير أمتي أعلمهم علما. وأفضلهم حلما. و أولهم سلما. راجع ما مر ص ٩٥. ٣ قال ﷺ لفاطمة: إنه لأول أصحابي إسلاما. أو: أقدم أمتي سلما. حديث صحيح راجع ص ٩٥ ٤ ـ أخذ

ﷺ بيد علي فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر. راجع الجزء الثاني ص ٣١٣، ٣١٤. ٥ عن أبي أيوب قال قال رسول الله ﷺ: لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين لأنا كنا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا. ومنها ما عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ : يا علي؟ أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيه أحد من قريش، أنت أولهم إيمانا بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله. الحديث. (حلية الأولياء ١ ص ٦٦) ٨ أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعلي وضرب بين كتفيه: يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة، أنت أول المؤمنين بالله إيمانا، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله. الحديث. (حلية الأولياء ١ ص ٦٦). ٩ من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند الشعبي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: هذا أول من آمن بي وصدقني وصلى معي.

ومن كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: قال عليه السلام: أنا عبد الله، وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتري، ولقد صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين، وأنا أول من صلى معه. إسناده من طريق ابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجة والحاكم والطبري صحيح رجاله ثقات،

وقال عليه السلام: أنا أول رجل أسلم مع رسول الله ﷺ . أخرجه أبو داود بإسناده الصحيح كما في شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨. م ٣ قال عليه السلام: أنا أول من أسلم مع النبي ﷺ . أخرجه الخطيب البغدادي في

استقبل بيعة رسول الله وقبلها منه الرسول.

ينبغي أن نتوقف عند هذه الصفة، قضية الانتماء إلى الرسالة الإسلامية، أساساً أن يكون إنسان منتمياً إلى فكرةٍ، هذا يعني أنه قد مارس قراره واختياره و فكره و أصبح ينظر إلى عقله باحترام بخلاف ذلك الذي يقول ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[1].

علي عليه السلام يأتي في ذلك السن المبكر، واعيا لهذه المسؤولية ومتحملا لها، فيقبل من رسول الله دعوته و يظهر إسلامه للناس. بُعث رسول الله يوم الاثنين و أظهر علي إسلامه يوم الثلاثاء. يعني الفاصل فقط ليلة المنام، هذا إظهار علي

تاريخه ٤ ص ٢٣٣ . ٤ قال عليه السلام أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام: عبدت الله مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة. (مستدرك الحاكم) ٣ ص ١١٢. وقال عليه السلام: ما أعرف أحدا من هذه الأمة عبد الله بعد نبينا غيري، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة تسع سنين.

(١)سورة الزخرف آية ٢٣.

للإسلام، بعدها بمدة ثلاث سنين يأتي رسول الله وعمر علي بن أبي طالب في تلك الحالة قد يكون عشر سنوات فيقول رسول الله بعد أن جاءه الخطاب من الباري ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(١) لعلي رجل المهمات وهو في ذلك السن الصغير: «يا علي ادع لها أعمامك واصنع لنا طعاماً» فيذهب علي ويأخذ جديا و يذبحه ويصنع طعاماً يُثرد ثم بعد ذلك يأتي بعُسٍّ لبن.

ولنترك أمير المؤمنين عليه السلام يكمل ما جرى، كما نقل عنه الطبري في تاريخه، قال:

ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة(٢) ثم قال

(١)سورة الشعراء آية ٢١٤.

(٢) الصحفة: إناء للطعام كالقصعة، والعس: قدح كبير.

خذوا بسم الله فأكل القوم حتى مالهم بشيء حاجة!! وما أرى إلا موضع أيديهم.. وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم!

ثم قال: اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعا وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله!! فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي، قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة. ثم قال: أسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما

قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه!

فاخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع(١).

شابٌ في ذلك السن عمره عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة يقوم بهذه المهمة يدعو إلى اجتماع و يهيئ أموره ثم يتخذ الموقف المطلوب منه في ذلك الوقت وهو يعلم أن المواجهة قادمة مع قريش وأن هؤلاء لن يرقبوا في رسول الله إلاًّ ولا

---

(١) الطبري ج ٢ص ٦٢

ذمة، و لكن مع ذلك يتحمل مسئولية هذا القرار وهو الانتماء إلى خط رسول الله. طبعاً مثل هذا الحديث لا يروق لبعض، فينكر وقوع هذا الأمر نهائياً، ويقول هو حديث موضوع ومكذوب[1]، وبعدها يأتي أشخاص من نفس المنهج و يقولون

---

(١) ابن تيمية والإمام علي عليه السلام ـ السيد علي الميلاني ص ٣٦:
حديث يوم الدار في قضية (وأنذر عشيرتك الأقربين)، يقول (ابن تيمية في منهاج السنة): هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث، فما من عالم يعرف الحديث إلا وهو يعلم أنه كذب موضوع .
ثم علق السيد الميلاني على ذلك بقوله: وإذا كان كذلك، فحينئذ جميع من روى هذا الحديث من علمائهم يعلم بأنه كذب موضوع، مع ذلك رواه في كتابه، أو إن هؤلاء الرواة ليسوا بعلماء أصلا!! من رواته أحمد في المسند، ومن رواته علماء كثيرون. يقول الهيثمي بعد روايته: ورجال أحمد وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة. وأخرجه أيضا: ١ ـ ابن إسحاق. ٢ ـ الطبري. ٣ ـ الطحاوي. ٤ ـ ابن أبي حاتم. ٥ ـ ابن مردويه. ٦ ـ أبو نعيم الإصفهاني. ٧ ـ الضياء المقدسي. ٨ ـ المتقي الهندي. والسيوطي يرويه عن جماعة، والبيهقي يرويه في دلائل النبوة، وأبو نعيم أيضا في دلائل النبوة، يروون النص الكامل لهذا الخبر وينصون على صحته في غير واحد من الكتب كما قرأنا. وأيضا ينص على صحته الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء

عجيب جرأة هذا الرجل على إنكار الواضحات المروية عندهم في كتب الحديث بأسانيد صحيحة. فإما أن الرجل لا يعرف شيئاً عن تاريخ علي ابن أبي طالب، فإنكاره يكون من الجهل المركب حيث لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم، وإما أنه تصيبه الحمى إذا رأى منقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام[1].

آخرون رأوا أن إنكار مثل هذه المناقب غير ممكن، لأنه سيكون كإنكار غزوة بدر وغزوة أحد التي هي من التواتر و التضافر والاستفاضة بحد يحتاج إلى صفاقة متناهية لإنكارها فأنكروا بعضها وحذفوا بعضها الآخر، يقولون قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: أيكم يؤازرني على هذا الأمر فيكون أخي و كذا و كذا....

للقاضي عياض وغيره من كبار علمائهم.

(١) ولذا ذكر ابن تيمية أن ما يذكر من شجاعة علي في الغزوات المذكورة غير صحيح!!

هل أن رسول الله ﷺ وهو رب الفصاحة، القائل «أنا أفصح من نطق بالضاد» غير قادر على التعبير عن مقاصده وغاياته واحتار فيها فاستعمل (كذا وكذا) إنقاذا للموقف؟ أم أن هناك قضية أخرى وهي أن هذه الفقرات تثبت في العقائد مطلباً لا يريدون إثباته و هذه حجة من حجج خصومهم؟

الشاهد في تلك الحادثة: أن علي بن أبي طالب عليه السلام في مثل ذلك السن المبكر، يختار الإيمان و هذا موقف عظيم، أنت أيها الشاب! أنتِ أيتها الشابة في هذا الزمن في مقام الاختيار بين طريق الإيمان و طريق الانحراف، بين طريق التقوى و العفة و طريق الشهوة والانهيار، إلى أي خط تريد أن تنتمي؟ إلى أي طريق تريدين أن تذهبي؟ هل تتمثلان خط علي و نهجه وسلوكه في شبابه، ومواجهته تلك الخطوط المنحرفة واختياره طريق الله والإسلام؟ أم تختاران طريق الانحراف و الهوى و الشهوة المحرمة؟

انتخب علي عليه السلام الإسلام، وصار نائباً لرسول الله ومدافعاً ومؤازراً في ذلك العمر المبكر وقد دفع على أثر ذلك

الثمن الغالي، بل لا يزال علي يدفع الثمن! سخا علي بنفسه فداء لنبيه، واعتمد الرسول عليه الاعتماد الأكبر. حتى لقد باهى الله ملائكته في علياء سمواته بذلك، وقدمه نموذجا لما يصنع الإيمان في نفوس أتباعه «أيكما ينزل و يؤثر الآخر بعمره» بين جبرائيل وميكائيل(١)، فتردد كل منهما في المهمة فأشار لهما

(١) ذكره السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق ج ٢٢ ـ ص ٥٠٦: قال: ومن ذلك ما ذكره الثعلبي في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ أن النبي ﷺ لما أراد الهجرة إلى المدينة خلف علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة، لقضاء ديونه وأداء الودائع التي كانت عنده وأمر ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه ﷺ وقال له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، ونم على فراشي فإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى، ففعل ذلك علي عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا علي بن أبي طالب، يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة، فأنزل الله على رسوله ﷺ وهو متوجه إلى المدينة في شأن

إلى فداء علي ومبيته على فراش النبي ﷺ.

ستون سيفا من سيوف القبائل يحملها شباب نُهد شجعان حتى يضيع دم محمد ـ بزعمهم ـ ولا يستطيع بنو هاشم مواجهة كل العرب، فأرادوا أن ينبهوه أولاً حتى يشعر بحد السيف عندما يُقتل! فرموه بالأحجار و هم يظنون انه رسول الله ﷺ وقد تدثر برداء رسول الله فتحرك قليلاً فزادوا رميه بالحجارة، وما أن قام إليهم و صرخ في وجههم صرخة واحدة، وإذا بذلك الجمع من فُتّاك قريش يزحم بعضهم بعضا في الهرب ويركب بعضهم بعضا من صرخة علي بن أبي طالب!

إن الشباب من أتباع علي عليه السلام ينبغي أن يسيروا على هذا الطريق وينتمون إلى الرسالة و يختاروا التقوى، والفضيلة و يتحملوا في سبيلها ما تحمل إمامهم.

علي عليه السلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

كيف خرج من مكة؟

التاريخ ينقل أن رسول الله ﷺ لما وصل إلى المدينة انتظر في قباء ولم يشأ أن يدخل إلى داخل المدينة إلا بعد قدوم علي بن أبي طالب فوجه إليه رسولاً أن أقدم[١] فخرج علي عليه السلام على

(١) نقل ذلك، محمد هادي اليوسفي في موسوعة التاريخ الإسلامي ـ ج ١ ص ٧٤٦ فقال:
ونقل ابن شهر آشوب في (المناقب) عن البكري والطبراني والنجدي والواقدي: أن عليا عليه السلام لما عزم على الهجرة قال له العباس: ان محمدا ﷺ ما خرج إلا خفيا، وقد طلبته قريش أشد الطلب، وأنت تخرج جهارا في إناث وهوادج ومال ورجال ونساء وتقطع بهم السباسب والشعاب من بين قبائل قريش؟! ما أرى لك أن تمضي إلا في خفارة خزاعة. فقال علي عليه السلام:

إن المنية شربة مورودة لاتنزعن وشد للترحيل
إن ابن آمنة النبي محمدا رجل صدوق قال عن جبريل
أرخ الزمام ولا تخف من عائق فالله يرديهم عن التنكيل
اني بربي واثق وبأحمد وسبيله متلاحق بسبيلي

قالوا: فكمن مهلع غلام حنظلة بن أبي سفيان في طريقه بالليل، فلما رآه سل سيفه ونهض إليه، فصاح علي صيحة فخر منها على وجهه وجلله بسيفه، فلما أصبح توجه نحو المدينة، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب

ثمانية فوارس . وخرج علي عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ـ وقيل: هي ضباعة ـ وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله وأبو واقد رسول رسول الله، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال علي عليه السلام : أرفق بالنسوة أبا واقد! إنهن من الضعائف. قال: إني أخاف أن يدركنا الطلب. فقال علي : أربع عليك، فان رسول الله قال لي: يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه. ثم جعل علي عليه السلام يسوق بهن سوقا رفيقا وهو يقول:

وليس إلا الله فارفع ضنكا يكفيك رب الناس ما أهمكا

فلما شارف ضجنان أدركه الطلب سبعة فوارس من قريش مستلئمين متلثمين، وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحا. فأقبل علي على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما: أنيخا الإبل واعقلاها. وتقدم حتى أنزل النسوة. ودنا القوم فاستقبلهم علي منتضيا سيفه، فأقبلوا عليه وقالوا: ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة، ارجع لا أبا لك. قال: فان لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغما أو لنرجعن بأكثرك شعرا، وأهون بك من هالك! ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها، فحال علي بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ علي عليه السلام عن ضربته، وتختله علي فضربه على عاتقه فأسرع السيف مضيا فيه حتى مس فرسه. فكان علي يشد على قدمه كشد الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

ملأ من الناس في المسجد الحرام أيها الناس إني خارج بعد ثلاث إلى يثرب من كانت له أمانة عند رسول الله ﷺ فليأتِ إلي أؤدها إليه.. وذلك أن رسول الله ﷺ كان مستودَع العرب وأمينهم، وكانوا يودعون الأمانات عنده لأنه كان الصادق الأمين فجاء الناس وأخذوها، وهذا أضخم إعلان للإسلام في مكة المكرمة.

كبر على قريش أن يتحداهم شاب في مقتبل العمر وأن يكسر كبرياءهم، قريشٌ التي خضع لها كل العرب خائفين من سطوتها، وإذا بعلي هذا الشاب، يحطم هذه السطوة! وعلى الملأ في وسط الكعبة المشرفة!!

فتصدع القوم عنه وقالوا: احبس نفسك عنا يا بن أبي طالب. قال: فاني منطلق إلى ابن عمي رسول الله بيثرب، فمن سره أن أفري لحمه وأهريق دمه فليتبعني أو فليدن مني. ثم أقبل على صاحبيه: أيمن وأبي واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما. ثم سار ظاهرا قاهرا حتى نزل ضجنان، فلبث بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ .

الذين خرجوا إلى الحبشة تسللوا فحُفظ لقريش ماء وجهها! وخروج رسول الله كان صدمة لهم، ولكن تم الأمر بقدرة الله حيث رمى في وجوهم التراب وبالتالي لم يروه! لكن هذا الشاب يأتي ويتحدى كل ذلك المجتمع الكافر (شخصياته وفرسانه وشجعانه وشبابه!!)، كبر عليهم ذلك ولذا ففي اليوم المحدد لخروجه أرسلوا إليه ثمانية من غلمانهم وعبيدهم الذين كانوا كالأسود في الحرب.

ويخرج علي وقد جهز الفواطم فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد، فاطمة بنت الزبير بن المطلب و غيرهن من النساء، ومعه أيضا ضعفاء المسلمين الذين كانوا يتخفون في مكة و لا يجدون ظهراً لهم قال لهم وافوني في المكان المعين وانطلق علي بالركائب و إذا بأبي واقد ينطلق بهذه القوافل بسرعة فيقول له رفقاً بالنسوة فقال: يا علي أخشى أن يدركنا الطلب قال: إربع على ضلعك، لماذا أنت خائف؟

فهدأ قليلاً وإذا بهم يرون ثمانية من المقاتلين الأشداء

واحدهم كقلة جبل على حصانه بأيديهم السيوف كأنها شعل النار، جاء أحدهم واسمه جناح وهو أقواهم وكان يدخر في قريش عند مواليه للمهمات الصعبة فقال: يا علي رد النسوة و ارجع! قال عليه السلام: فإن لم افعل؟ قال: لنرجعن بأكثرك شعرا أي برأسك! قال فافعل ذلك فحمل عليه جناح و أهوى عليه بذلك السيف في ضربة خاطفة فراغ منها علي عليه السلام. ما التفت هذا لكي يقوم إلا وعلي قد ضربه بسيفه إلى أن وصل السيف إلى ظهر الفرس! لم يقطع عنقه وإنما ضربه و شقه شقا إلى أن وصل سيفه إلى ظهر الفرس، لما رأى بقية أولئك هذا الضرب وهذه الطريقة كروا راجعين ولم يتكلموا بكلمة أصلاً وسار علي إلى أن وصل إلى يثرب حيث دخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة.

علي عندما يختار وينتمي إلى هذه الرسالة وهذه الطريقة وهذا المنهج يختاره وهو شاب، وأنت أيها الشاب أيتها الشابة أيضا في مثل هذا الموقف. أي طريق تختار؟ الطريق الآخر طريق المخدرات، الطريق الضياع و الانهيار وطريق الشهوه

المحرمة، طريق أعراض الناس وطريق الكفر أخيراً، وهذا الطريق طريق العفة والنزاهة والقداسة والرسالة وهو طريق علي بن أبي طالب، أي الطريقين نختار؟ ينبغي للعاقل أن يختار هذا الطريق.

الصفة الثانية: الفتوة.

الفتوة لها تعريف خاطئ هو ما تحاول بعض أجهزة الإعلام والمسلسلات تصويره وهو معنى يساوي القوة المعتدية والمتغطرسة،عضلات بارزة وفكر بائس، وخرق للنظام الاجتماعي.. وهذا تزييف وتحريف لمعنى الفتوة.

الفتوة عبارة عن مجموعة صفات نفسية بالدرجة الأولى ليست عضلية أو بدنية بالضرورة(١)، الإنسان الشهم فتى وان

---

(١) في لسان العرب نقل ابن منظور عن القتيبي قوله: ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال، يدلك على ذلك قول الشاعر:

إن الفتى حمّال كل ملمة   ليس الفتى بمنعم الشبان

كان كبير السن، التقي فتى، الشجاع فتى الفتوة هي: إعانة المحتاج وقت حاجته، العفاف فتوة، حفظ حرمات الغير فتوة . الفتوة هي مجمع للكمالات و الصفات الأخلاقية.

انظروا إلى رسول الله الفتى!! تقول الرواية: (جاء رجل أعرابي إلى رسول الله ﷺ فخرج إليه الرسول في ثوب ممشق[1]، فقال له الأعرابي يا رسول الله خرجت إلي كأنك فتى، قال: نعم أنا الفتى وابن الفتى وأخ الفتى، قال: أما الفتى فنعم فكيف ابن الفتى وأخو الفتى؟ قال: أما سمعت الله ﷻ يقول عنه ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[2] فأنا ابن إبراهيم ، وأما أخو الفتى فإن مناديا نادى من السماء يوم أحد «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» فعلي أخي وأنا أخوه.[3]

(١) مصبوغ بالمشق وهو طين أحمر.
(٢) سورة الأنبياء آية ٦٠.
(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ٢٦٨.

الفتوة هي مجمع للكمال، وصفة نبي الله إبراهيم عليه السلام، صفة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصفة علي بن أبي طالب عليه السلام ، هذه هي الفتوة، الفتوة تعني أن علي بن أبي طالب عندما يجد امرأة على قارعة الطريق وهي تبكي لا يفكر كما يصنع البعض تفكيراً جنسياً كيف يحتال على هذه المرأة؟ و كيف يستغل حاجتها؟ وإنما يفكر ماذا تحتاج إليه يستوقفه هذا المنظر يأتي إليها يسألها عندما تخبره عن مشكلة بينها وبين زوجها، يذهب معها إلى أن يحل المشكلة وينهيها ، عندما يسمع صوت أطفال يبكون، فتوته تأبى عليه أن يتحرك من ذلك المكان إلا أن يأتي إليهم بالطعام و الشراب ويسكت صياحهم وبكائهم، هذه هي الفتوة الحقيقية.

أما ما قد يتصوره البعض من هذه الحالات التي نشاهدها في بعض الشباب من مظاهر غير مألوفة في الشخصية واللباس والتصرفات فإنما هي إعلان للانفصال عن المجتمع وعن تيار الخيرين فيه وهذه لا ترتبط لا بالفتوة ولا بالشباب و لا بالقوة بشيء. عضلات الإنسان إذا كانت في سبيل الخير آنئذ لها قيمة

وإلا فالأحجار خير منها وأقوى.

نسأل الله سبحانه وتعالى الذي أكرمنا بمعرفة علي أن يكرمنا بالاقتداء بمنهجه و أن يكمل هدايته لنا بهداية أبنائنا وأحفادنا وأسرنا وأرحامنا وان يعيننا على الالتزام بهذا الخط وهذا المنهج في ظل تيارات الفتن المحتدمة وفي ظل تيارات الظلال المتراكم.

خيارات المواجهة

أمام أمير المؤمنين عليه السلام

«وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذاء أو أصبر على طخية عمياء فرأيت الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا».

ما هي الخيارات التي كانت أمام أمير المؤمنين عليه السلام في معالجة الوضع الناشئ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ماذا كان ينبغي أن يفعل؟ وأي طريق كان عليه أن يختار؟ هناك عدة طرق واختيارات تُتصور للإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

ـ الطريق الأول هو طريق المقاومة العسكرية والثورة المسلحة لتغير هذا الوضع الناشئ على اثر مصادرة حق أمير المؤمنين في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يشهر السلاح وأن يجمع

الأنصار و أن يبدأ في عملية انقلابية ضد الخلافة القائمة.

مبرر ذلك أنه صاحب حق واضح، وله أن يطالب بهذا الحق إلى أن يحصل عليه، كما أن بإمكانه ذلك فهو رجل شجاع جرّب الحروب ومارسها، هذا هو الطريق الأول.

ـ الطريق الثاني الذي كان يمكن للإمام عليه السلام أن يختاره هو الانكفاء عن الحياة السياسية و الاجتماعية في عملية احتجاج وإسقاط لشرعية الحكم القائم ، فيرفض التعامل مع الحكم القائم ، يجتنب المسير إليهم ، يمتنع عن نصحهم و إرشادهم، بل ربما زاد على ذلك بأن يصرح أنه غير راضٍ عن هذه الحكومة.

لأن ذهابه إليهم ، وتعامله معهم ، ونصحهم في مواقع النصح ،إرشادهم في مواقع الإرشاد يعتبر نوعا من الإقرار بشرعية هذا الحكم القائم.

ومن الطبيعي أن الإمام عليا عليه السلام لم يكن ذلك الفرد العادي أو النكرة في المجتمع، فوقوفه الموقف السلبي تجاه

السلطة سيؤثر بلا ريب عليها!.

ـ الطريق الثالث أن الإمام عليه السلام مع كل ملاحظاته على الوضع القائم ومع تصريحه بأنه لا يراه حكما مشروعاً مع ذلك يتفاعل معه ويتجاوب ، يرشد في مواقع الإرشاد ويوجه في مواقع التوجيه ويتعاون بالمقدار الذي يحقق مصلحة الإسلام والمسلمين، فلا ينكفئ ولا ينعزل ولا يقاوم مقاومة عسكرية صارخة هذا الطريق الثالث.

وقد عُرض الطريق الأول على الإمام عليه السلام من بعض خلص أصحابه ومن أبي سفيان. بعض خلص أصحاب الإمام ففي الرواية عن الإمام الباقر: «جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم، بعد ذلك إلى علي عليه السلام فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين وأنت والله أحق الناس وأولاهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، هلم يدك نبايعك فو الله لنموتن قدامك؟

فقال علي عليه السلام: إن كنتم صادقين فاغدوا غدا علي

محلقين[1]! فحلق علي عليه السلام وحلق سلمان وحلق مقداد وحلق أبو ذر ولم يحلق غيرهم، ثم انصرفوا فجاؤا مرة أخرى بعد ذلك، فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين وأنت أحق الناس وأولاهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، هلم يدك نبايعك وحلفوا، فقال: إن كنتم صادقين فاغدوا علي محلقين! فما حلق إلا هؤلاء الثلاثة[2].

أبو سفيان أيضا جاء إلى العباس بن عبد المطلب ثم جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام يحفزه على مناجزة أبي بكر، ويعده بنصرته وهو يقول: «إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف، فيمَ أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟؟». أين الأذلان؟ علي والعباس؟!! ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟

ثم قال لعلي: ابسط يدك أبايعك فو الله لئن شئت لأملانها

---

(١) محلقين: إما بمعنى لبس الحلقة أي السلاح، أو بمعنى حلق الرؤوس وقد كانوا إذا أرادوا القتال يصنعون ذلك!

(٢) نفس الرحمن في فضائل سلمان ـ ميرزا حسين النوري الطبرسي ص ٥٧٧.

عليه خيلا ورجالا، وتمثل بشعر المتلمس:

ولن يقيم على خسف يراد به

إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته

وذا يشج فلا يبكي له أحد

لكن الإمام كان يفقه دوافعه، ويعرف ذاتياته فلم يستجب له، وإنما نهره وأغلظ له في القول قائلا: «والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وانك والله طالما بغيت للإسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك..»[1]

فأصبح من اقترح على أمير المؤمنين الخيار الأول جهتان. جهة خلص أصحابه. والجهة الأخرى أبو سفيان، وقد أعطى

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الشيخ باقر شريف القرشي ج ١ص ٢٥٢ عن تاريخ بن الأثير.

أمير المؤمنين عليه السلام لكل جهة من الجهتين جواباً يتناسب مع وضعها.

جوابه كان لأصحابه بالنحو السابق، وأنه لا ينفع القيام والحركة المسلحة لأن اليد جذاء ووضع المسلمين لا يتحمل مثل تلك الحركة «وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذاء» أقوم بالثورة والمعارضة الواضحة والعسكرية ولكن يدي جذاء أي مقطوعة و ليس هناك إمكانية من الناحية العملية لتحريك الوضع باتجاه عمل عسكري ضد الوضع الموجود.

أما جوابه لأبي سفيان فقد كان مختلفا ، قال يا أبا سفيان طال ما عرفتك تكيد للإسلام وأهله ، ليس قصدك في الواقع نصر حقنا ولكنك في الواقع تريد أن تلقي فتنة بين المسلمين وبالتالي الحرب والفتنة هي في مصلحتك وأنت في هذا العرض لست صادقاً.

هذا الطريق رفضه أمير المؤمنين أولاً لجهة أن نتائجه ستكون نتائج كارثية بالنسبة لعموم الوضع الإسلامي لا يزال

الإسلام فتيا، لا تزال هناك فئات تنتظر بعد أن توفي رسـول الله أن تعيد الكرة ضد المسلمين وهؤلاء انتعشت آمالهم من جديـد بعدما ذهب رسول الله فقيام معركة وحرب في هـذه الأثنـاء في المدينة يعني إن الإسلام ينتهي وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلـك في بعض خطبه: «حتى رأيت راجعة النـاس قـد رجعـت عـن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فخشيت إن لم أنـصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المـصيبة بـه عـلي أعظم من فوت ولايتكم»[1].

هذا إضافة إلى عدم وجود إمكانيات التحرك وهو القائـل في موضع آخر: «أفلح من نهض بجناح أو أستـسلم فاسـتراح» إما عندك عـدة العمـل وأهبتـه وقوتـه فـانهض بقـوة وإلا فـلا تتكلف الأمر.

الطريق الثاني أن يقـوم الإمـام بالاحتجـاج الهـادئ عـلى الحاكمين فينصرف عنهم ولا يشاركهم ولا يـذهب إلـيهم ولا يعينهم ولا يكون معهم وهذا سيؤدي إلى أن الناس يفهمون أن

---

(١) نهج البلاغة ج ٣ص ١١٩.

عليا بن أبي طالب لا يرى مشروعية هـذا الحكـم ولـذلك هـو منسحب.

هذا وإن كان أمثل من سـابقه إلا أن فيـه مـشكلة واحـدة وهي أن الإمام عليه السلام لن يستطيع الانتفاع مـن فـرص التوجيـه والتربية والإرشـاد.. بينـما المجتمـع يـسير وبـالطبع عـلى غـير الهدى..لابد أن يتقدم إمـام للجماعـة وفقيـه للفتـوى وقـاض للقضاء ومدير للإدارة فإذا لم يوجد من يسدد ويرشد، سـينتهي الأمر إلى ضياع حقوق الناس، بـل تجـاوز أحكـام الله سـبحانه وتشريعاته. كما حـدث في أيـام الخليفـة الثـاني ، حيـث غُـيرت بعض الأحكام واستحدثت أخرى لا أصل لها[1].

هذا بالنسبة للأحكام الإلهية الكلية، وبالنسبة للقضاء وما يرتبط بحقوق الناس فالأمر أكثر.. وأورد لك بعض الأمثلة:

عن عاصم بن ضمرة قال: سـمعت غلامـا بالمدينـة وهـو يقول: يا أحكم الحاكمين، احكم بيني وبين أمي بـالحق. فقـال عمر: يا غلام، لم تدعو على أمك؟ قال: يـا أمـير المـؤمنين، إنهـا

---

(١) لمعرفة ذلك بالتفصيل يراجع كتاب: النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين.

حملتني في بطنها تسعا، وأرضعتني حولين كاملين، فلما ترعرعت وعرفت الخير من الشر، ويميني من شمالي، طردتني وانتفت مني، وزعمت أنها لا تعرفني.

فقال عمر: أين تكون الوالدة؟ قال: في سقيفة بني فلان. فقال عمر: علي بأم الغلام، فأتوا بها مع أربعة إخوة لها وأربعين قسامة يشهدون لها أنها لا تعرف الصبي، وأن هذا الغلام غلام مدع ظلوم غشوم، ويريد أن يفضحها في عشيرتها، وأن هذه الجارية من قريش لم تتزوج قط، وأنها بخاتم ربها ـ يعني أنها بكر ـ!.

فقال عمر: ما تقول، يا غلام؟

فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، هذه والله أمي، حملتني في بطنها تسعا، وأرضعتني حولين كاملين، فلما ترعرعت وعرفت الخير من الشر، ويميني من شمالي، طردتني وانتفت مني، وزعمت أنها لا تعرفني. فقال عمر: يا هذه، ما يقول الغلام؟

فقالت: يا أمير المؤمنين، والذي احتجب بالنور ولا عين

تراه، وحق محمد وما ولد، ما أعرفه، ولا أدري أي الناس هو، إنه غلام مدع يريد أن يفضحني في عشيرتي، وأنا جارية من قريش لم أتزوج قط، وأنا بخاتم ربي.

فقال عمر: ألك شهود؟ قالت: نعم، هؤلاء، فتقدم الأربعون القسامة، فشهدوا عند عمر أن هذا الغلام مدع يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأن هذه جارية من قريش بخاتم ربها لم تتزوج قط. فقال عمر: خذوا بيد الغلام فانطلقوا به إلى السجن حتى نسأل عنه وعن الشهود، فإن عدلت شهادتهم جلدته حد المفتري، فأُخذ بيد الغلام ينطلق به إلى السجن، فتلقاهم أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الطريق.

فقال الغلام: يا ابن عم محمد، إني غلام مظلوم، وهذا عمر قد أمر بي إلى السجن. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ردوه فردوه إليه. فقال عمر: أمرت به إلى السجن فرددتموه! فقالوا: يا أمير المؤمنين، أمرنا برده علي بن أبي طالب، وقد قلت: لا تعصوا لعلي أمرا. فبينا هم كذلك إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام،

فقال: علي بأم الغلام، فأتوا بها، فقال: يا غلام، ما تقول؟ فأعاد الكلام. فقال علي ﷺ لعمر: أتأذن لي أن أقضي بينهم؟

فقال عمر: يا سبحان الله! وكيف لا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعلمكم علي بن أبي طالب؟! ثم قال ﷺ للمرأة: يا هذه، ألك شهود؟

قالت: نعم، فتقدم الأربعون القسامة فشهدوا بالشهادة الأولى. فقال أمير المؤمنين ﷺ: والله لأقضين اليوم بينكما بقضية هي مرضاة للرب من فوق عرشه علمنيها حبيبي رسول الله ﷺ، ثم قال ﷺ: ألك ولي؟

قالت: نعم، هؤلاء إخوتي. فقال لهم: أمري فيكم وفيها جائز؟ قالوا: نعم، يا ابن عم محمد، أمرك فينا وفي أختنا جائز. فقال علي ﷺ: أشهد الله، وأشهد رسوله ﷺ ومن حضر من المسلمين، أني قد زوجت هذه الجارية من هذا الغلام بأربعمائة درهم، والنقد من مالي، يا قنبر، علي بالدراهم، فأتاه قنبر بها، فصبها في حجر الغلام، فقال: خذها وصبها في حجر

امرأتك، ولا تأتنا إلا وبك أثر العرس ـ يعني الغسل ـ.

فقام الغلام إلى المرأة فصب الدراهم في حجرها، ثم أخذ بيدها وقال لها: قومي. فنادت المرأة: الأمان الأمان، يا ابن عم محمد، تريد أن تزوجني من ولدي! هذا والله ولدي، زوجوني هجينا[١] فولدت منه هذا، فلما ترعرع وشب أمروني أن أنتفي منه وأطرده وهذا والله ابني[٢].

لولا أمير المؤمنين وقضائه في هذه الحالة ـ وأمثالها كثير ـ لحدثت مخالفات كبيرة، فهنا يضيع النسب والإرث والحقوق الأخرى.

مثال آخر: عن الأصبغ بن نباتة، قال: لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما سمعت بأعجب منها ولا مثلها قبل ولا بعد. قيل: وما ذاك؟ قال: دخلت المسجد ومعي أمير المؤمنين عليه السلام، فاستقبله شاب حدث يبكي، وحوله قوم

---

(١) غير عربي أو دني النسب.

(٢) عجائب أمير المؤمنين عليه السلام ـ السيد محسن الأمين ص ٦٨.

يسكنونه، فلما رأى الشاب أمير المؤمنين قال: يا أمير المؤمنين، إن شريحا قضى علي بقضية، وما أدري ما هي.

فقال أمير المؤمنين: وما ذاك؟ قال الشاب: إن هؤلاء النفر خرجوا مع أبي في السفر، فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله، فقالوا: ما ترك مالا، فقدمتهم إلى شريح، فاستحلفهم، وقد علمت ـ يا أمير المؤمنين ـ أن أبي خرج ومعه مال كثير. فقال لهم: ارجعوا، فرجعوا، وعلي يقول:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

يعني قضاء شريح فيهم. فقال: والله لأحكمن فيهم بحكم ما حكمه أحد قبلي إلا داود النبي عليه السلام، يا قنبر، ادع لي شرطة الخميس، فوكل بكل رجل رجلين من الشرطة، ثم دعاهم ونظر في وجوههم، ثم قال لهم: تقولون ماذا كأني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى إني إذا لجاهل!! ثم أمر بهم ففرق بينهم، وأقيم كل واحد منهم إلى أسطوانة من أساطين

المسجد، ثم دعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، فقال: اكتب، ثم قال للناس: إذا كبرت فكبروا، ثم دعا بأحدهم، فقال: في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم؟ فقال: في يوم كذا وكذا. فقال: ففي أي سنة؟ قال: في سنة كذا وكذا. قال: ففي أي شهر؟ قال: في شهر كذا وكذا. قال: في منزل من مات أبو هذا الفتى؟ قال: في منزل فلان بن فلان. قال: وما كان مرضه؟ قال: كذا وكذا. قال: كم مرض؟ قال: كذا وكذا. قال: فمن كان ممرضه؟ قال: فلان. قال: فأي يوم مات؟ ومن غسله؟ ومن كفنه؟ وفيما كفنتموه؟ ومن صلى عليه؟ ومن أدخله القبر؟ قال: فلان.

فلما سأله عن جميع ما يريد كبر وكبر الناس كلهم أجمعون، فارتاب أولئك الباقون ولم يشكوا إلا أن صاحبهم قد أقر عليهم وعلى نفسه، وأمر أمير المؤمنين عليه السلام بالرجل إلى الحبس، ثم دعا بآخر، فقال له: كلا زعمت أني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى إني إذا لجاهل!!.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا إلا كواحد منهم، ولقد كنت كارها لقتله. فلما أقر جعل يدعو بواحد واحد، وكان يقر بالقتل والمال، ثم دعا بالذي أمر به إلى السجن فأقر أيضا معهم، فألزمهم المال والدم[1].

أنت ترى أنه لولا تدخل أمير المؤمنين عليه السلام في مثل هذا الموضع لضاع دم هذا المسلم هدرا.

فهذا الطريق لم يكن الطريق المناسب الأفضل.

الطريق الثالث «فصبرت و في العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا» فهو يرى أن هذا الوضع الموجود خاطئ وظالم، ودائماً ما كان يكرر هذا المعنى «اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموما أو مت

---

(١) عجائب أمير المؤمنين عليه السلام ـ السيد محسن الأمين ص ١١٣.

متأسفا، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار».

في الواقع ينبغي أن يكون هذا الطريق منهجاً للإنسان المؤمن حين يعيش وضعاً لا يرضيه بالكامل ولا يستطيع تغييره بالكامل، هل يترك هذا الشيء بزعل!! ينكفئ ويترك كل شيء!!

وهنا نستطيع الاستفادة من طريقة أمير المؤمنين عليه السلام في واقعنا المعاصر، درسا في أن الانعزال والانكفاء لن يحقق للمجتمع غير التراجع، والمزيد من التأخر وسلب الحقوق، وأما التفاعل الايجابي والعمل ضمن الممكن هو الذي ينتهي ـ عبر تراكم الانجازات الصغيرة ـ إلى تحقيق جانب مهم من الأهداف العامة.

مع أن الألم عند أمير المؤمنين عليه السلام كان مضاعفا، فعلاوة

على أخذ الخلافة منه وهو أحد الألمين، كانت أمور الخلافة فيما يرتبط بالأحكام الشرعية تدار بشكل سيء (فبُلي الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض) كما قال عليه السلام في وصف تلك الحقبة. مع ذلك كان يصلح هنا ويشير هناك ويتعاطى، لأنه يرى أن هذا هو الطريق الأنسب في ظل تلك الأوضاع.

كان من أعماله في تلك الفترة التي امتدت ٢٥ سنة تقريباً إعانة الفقراء والمساكين من جهده الخاص فقد عمل أمير المؤمنين عليه السلام في استنباط الآبار واستخراج المياه ثم كان يوقفها صدقة لله[١] وقد فُسر قوله: وإن صدقتي لتبلغ أربعين ألفا[٢]، بهذه الآبار والنخل التي أوقفها صدقة للفقراء والمساكين، ومنه تعلم مقدار تلك الآبار والبساتين، حتى يكون عائدها هذا المقدار من الدنانير. حتى نقل بعض المؤلفين

(١) احتفر الإمام عليه السلام في ينبع عينا فخرج منها الماء كعنق الجزور، فقام بوقفها صدقة على الفقراء. الغدير ج ٤.
(٢) مسند أحمد ١/ ١٥.

أن علي بن أبى طالب استنبط أكثر من ١٠٠بئر ولقد بقيت هذه الصدقات إلى وقت متأخر (أكثر من قرن ونصف من الزمـان) فنحن نقرأ أنه في أيام المتوكـل العبـاسي قـام جنـوده بتخريـب (سويقة) وهي من صدقات علي عليه السلام.

من جملة مـا فعلـه أمـير المـؤمنين في تلـك الفـترة اهتمامـه بأصــحابه بتعلــيمهم وتــربيتهم وإعــدادهم إعــدادا رســاليا وإيمانيا(١).فبرزت أسماء هؤلاء كما تبرز الشمس الساطعة: محمد ابن أبي بكر و مالك الأشتر، عمار بـن يـاسر، عمـر بـن الحمـق الخزاعـي، المقـداد بـن الأسـود، سـلمان المحمـدي، وأبـو ذر الغفاري، والعبديون صعصعة وزيد وسيحان، وآخـرون كـأبي الطفيل.. وغيرهم. هؤلاء أخلصوا الولاء والود لأمير المؤمنين لما رأوا فيه من روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هاهو ضرار بن ضمرة الكتاني على معاوية فقال لـه صـف

(١) لمعرفة ذلك المنهج التربوي يمكن مراجعة كتاب: بناء القادة في منهج أهل البيت للمؤلف، وكتاب رجال حول أهل البيت كذلك.

لي عليا فقال أو تعفيني يا أمير المؤمنين قال لا أعفيك قال لـه إذ لا بد فإنه والله كـان بعيـد المـدى شـديد القـوى يقـول فـصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم مـن جوانبـه يـستوحش مـن الـدنيا وزهرتها يستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العـبرة طويـل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه ويعجبه من اللباس مـا قـصر ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة لـه فـإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشـهد بالله لقـد رأيتـه في بعـض مواقفـه وقـد أرخـى الليـل سـدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكـي بكاء الحزين فكأني أسمعه الآن وهو يقول يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه ثم يقول للدنيا إليّ تعرضت، إياي تشوقت هيهات هيهات غري غـيري قـد بتتـك ثلاثـا فأمـدك قـصير ومجلـسك حقـير وخطرك يسير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحـشة الطريـق

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء. فقال هكذا كان أبو الحسن رحمه الله فكيف وجدُك عليه يا ضرار قال وجد من ذبح واحدها في حجرها لا ترقى دمعتها ولا يسكن حرها..

أمير المؤمنين والإصلاح السياسي

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وان كل قطيعة يقطعها من كان قبلي وكل مال أعطاه فهو مردود إلى بيت المال والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق».

الفترة التي مكث فيها أمير المؤمنين في الحكم فترة قصيرة زمناً، خمس سنين وبضعة أشهر، لكنها من حيث التطبيق العملي للحكم الإسلامي، تعتبر فترة كافية يستطيع المسلمون أن يتعلموا منها عبراً ودروسا كثيرة تكفيهم في إدارة حياتهم السياسية والاجتماعية.

إن بعض القضايا لا ترتبط بالزمان بالضرورة فربما تكون حقبة طويلة من الزمان كفترة حكم الأمويين التي امتدت قرابة

الألف شهر من الزمان إلا إنها في جهة التجارب الحضارية والنمو الثقافي في الأمة تعتبر فقيرة.

وحريٌّ بالمسلمين حكاماً ومحكومين أن يتأملوا فيما قام به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكمه من الإصلاح الشامل، وخصوصا في هذه الأيام حيث يتعالى نداء الإصلاح في جميع بلاد المسلمين.. فالكل يطالب الإصلاح: الساسة يطالبون بالإصلاح والحكام والمثقفون والكتاب يتحدثون عنه، والرعية والجمهور يتوقعونه.. حتى أصبح هذا الأمر محطة إجماع ونقطة اتفاق بين الحاكم والمحكوم بين النخب المثقفة، وعامة الناس، بل بين الداخل والخارج!

فكيف يمكن أن يحدث الإصلاح وما الذي ينبغي فعله وكيف نستهدي يتلك التجربة الرائدة التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال.

تركة اقتصادية ثقيلة

ورث أمير المؤمنين تركة صعبة وثقيلة ممن سبقه، ورث وضعاً في الاقتصاد كان قائماً على أساس المحاباة وعدم الإنصاف في توزيع الثروة ولقد تتبع بعض المحققين(١) ما نقل من العطاءات التي تمت لأقارب الخليفة، وأعوانه فخرج بهذه النتيجة:

١. الحارث بن الحكم. ووهب عثمان الحارث صهره من عائشة ما يلي:

أ. ثلاثمائة ألف درهم.

ب. وهبه إبل الصدقة التي وردت إلى المدينة.

ج. أقطعه سوقا في يثرب يعرف بتهروز بعد أن تصدق به النبي على جميع المسلمين.

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الشيخ باقر شريف القرشي ج ١ص ٣٥٥.

٢. أبو سفيان: ووهب عثمان إلى أبي سفيان رأس المنافقين مائتي ألف من بيت المال.

٣. سعيد بن العاص: ومنح عثمان سعيد بن العاص مائة ألف درهم.

٤. عبد الله بن خالد: وتزوج عبد الله بن خالد بن أسيد بنت عثمان فامر له بستمائة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر واليه على البصرة أن يدفعها إليه من بيت المال.

٥. الوليد بن عقبة: الوليد بن عقبة أخو عثمان من أمه استقرض من عبد الله بن مسعود أموالا طائلة من بيت المال فأقرضه، وطلبها منه عبد الله فأبى أن يدفعها ورفع رسالة إلى عثمان يشكوه إليه، فكتب عثمان إلى عبد الله رسالة جاء فيها: «إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال» فغضب ابن مسعود، وطرح مفاتيح بيت المال وقال: «كنت أظن أني خازن للمسلمين، فأما إذا كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك».

٦. الحكم بن أبي العاص. كان هذا الرجس الخبيث من ألد أعداء رسول الله ﷺ وقد نفاه إلى الطائف، وقال: «لا يساكنني» ولم يزل منفيا هو وأولاده طيلة خلافة الشيخين، ولما انتهى الحكم إلى عثمان أصدر عنه العفو فقدم إلى يثرب، وهو يسوق تيسا، وعليه ثياب خلقة فدخل على عثمان فكساه جبة خز وطيلسان ووهبه من الأموال مائة ألف، وولاه على صدقات قضاعة فبلغت ثلاثة مائة ألف، فوهبها له.

٧. مروان بن الحكم: أما مروان بن الحكم فهو وزيره ومستشاره الخاص، وجميع مقدرات الدولة تحت تصرفه، وقد منحه الثراء العريض، ووهب له من الأموال ما يلي:

أ. أعطاه خمس غنائم افريقية، وقد بلغت خمس مائة ألف دينار.

ب. أعطاه ألف وخمسين أوقية، لا نعلم أنها من الذهب أو الفضة.

ج. أعطاه مائة ألف من بيت المال، فجاء زيد بن أرقم

خازن بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وجعل يبكي فنهزه عثمان وقال له: «أتبكي إن وصلت رحمي؟». «ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضا عما كنت أنفقته في سبيل الله، في حياة رسول الله ﷺ لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا». فصاح به عثمان. «ألقِ المفاتيح يا ابن أرقم فانا سنجد غيرك».

د. أقطعه فدكا.

ه. كتب له بخمس مصر.

وأعطى البعض الآخر ممن لم يكونوا من أرحامه، فقد أعطى:

١. طلحة: ووصل طلحة بمائتي ألف دينار ، وكانت له عليه خمسون ألفا فقال له طلحة. تهيأ مالك فاقبضه، فوهبه له وقال: هو لك يا أبا محمد على مروءتك.

٢. الزبير: ومنح الزبير بن العوام ستمائة ألف، ولما قبضها حار فيها فجعل يسأل عن خير المال ليستغل صلته، فدل على اتخاذ

الدور في الأقاليم والأمصار فبنى إحدى عشرة دارا بالمدينة، ودارين بالبصرة، ودارا بالكوفة، ودارا بمصر.

٣. زيد بن ثابت: ووهب أموالا ضخمة لزيد بن ثابت حتى بلغ به الثراء العريض انه لما توفي خلف من الذهب والفضة ما يكسر بالفؤوس، عدا ما ترك من الأموال والضياع ما قيمته مائة ألف).

وهكذا أصبحت خزينة بيت مال المسلمين بستانا ومتنزها لقريش، وأعطيت للأخ من الرضاعة وأعطيت للصاحب و للصهر و للابن وأعطيت لفلان وفلان من دون مبرر.

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمام وضع كهذا.. عامة الناس يستشعرون الغبن وعدم العدالة في تقسيم الثروة الاقتصادية العامة. المفروض في ضمن قانون الإسلام أن الإنسان يحصل على الثروة بحسب سعيه وكفاءته.. وأن تتاح أمامه الفرص بحيث يكون التقدم على أساس السعي والكفاءة.أما أن يكون هناك موانع على أسس سياسية تارة ، مذهبية أخرى ، طائفية ثالثة ، عنصرية رابعة إلى غير ذلك تمنعه

وتحجزه عن أن يصل إلى حقه في المال.. بينما يأتي أخو الخليفة وابن الخليفة والذي ارتضع معه من ثدي واحد لكي يحصل على هذه الأموال الطائلة من غير جهد ولا عمل ولا استحقاق فهذا عين الظلم.

ولذلك لما جاء أمير المؤمنين عليه السلام فإن أول البيانات التي تلاها قال: «ألا وإن كل قطيعة اقتطعها من كان قبلي في غير وجهها المعروف وكل مال أعطاه من بيت المال فهو مردود إلى بيت المال». لك الحق في التصرف في أموالك الشخصية ، هب من شئت بالمقدار الذي تريد ما لم يكن في فساد.. لا أحد يسألك ولا يحاسبك عليه، أما أن تتصرف في المال العام من بيت مال المسلمين فتهب هذا وتعطي ذاك وتقطع الثالث هذا ليس مشروعاً!! أنت حاكم مؤتمن، وهناك مصارف معينة تصرف فيها هذا المال وليس من حقك أن تصرفه كيفما تشاء.

وهكذا الحال في الولاية الدينية، فالمرجع من مراجع التقليد ليس من حقه أن يتصرف في مال الله كلاما لو كان

بستان أبيه وإنما هناك مجالات معينة تفرض عليك أن تصرف المال فيها ولا تتعداها.

يقول أمير المؤمنين أنه حتى لو تم التصرف فيه فإن هذا التصرف لا يُتلف الحق ويبقى المتلف له ضامنا، ولذلك يقول عليه السلام: «والله لو وجدته قد تُزوج به النساء ومُلك به الإماء لرددته إلى بيت المال» ، لعل أحدهم يقول: إن هذا سينتهي إلى حدوث بعض المشاكل مع من تم إعطاؤهم، فيجيب الإمام: كلا فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق!! أي في العدل حتى بالنسبة لهؤلاء سعة وفرَج!! هذا إضافة إلى «سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة»[1].

وقد عبر أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك الحالة التي سادت في عصر الخليفة الثالث بقوله: «وقام معه بنو أبيه يخضمون[2]

---

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٣ص ٨٦.
(٢) الخضم: ملء الفم بالشيء المأكول والأكل بأقصى الأضراس.. كما

مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع».

ولاة غير صالحين

العنصر الثاني الذي ورثه الإمام عليه السلام في الجانب السياسي هو مجموعة من الولاة غير الأكفاء الذين لم يكن لهم من ميزة غير القرابة وهؤلاء قد تولوا على أهم بلاد المسلمين..

- فقد تولى على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط الذي عبر عنه القرآن الكريم بالفاسق. في موضعين، فقد كان يفاخر عليا ذات مرة، فرد عليه الإمام عليه السلام بأنه فاسق فنزلت الآية المباركة ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾[1]

في لسان العرب.

(١)خصائص الوحى المبين ـ الحافظ ابن البطريق ص ١٨٠: عن ابن عباس، ـ رضي الله عنه ـ قال: قال الوليد بن عقبة لعلي عليه السلام: أنا أحد منك سنانا وأبسط منك لسانا وأملا منك حشوا للكتيبة. فقال له علي عليه السلام: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ ، قال: يعني بالمؤمن: عليا عليه السلام، وبالفاسق: الوليد بن عقبة.

والموضع الآخر عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المُصطلق لأخذ زكواتهم والأموال منهم ذهب وفي وسط الطريق تخوف فرجع وقال للرسول أنهم قد خرجوا لقتاله فنزلت الآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(١).

هذا الرجل حصل على وسمين من القرآن، ووسم من رسول الله ﷺ وهو أنه من (صبية النار)!

هذا الرجل ـ بهذه المواصفات!! ـ يصبح والي الكوفة وهي من أعظم الأمصار الإسلامية، وزعيما وإمام جماعة لكل الصحابة الكبار والمخلصين والعلماء والفقهاء، ويا ليته أحسن الصنع بعد ذلك فقد كان يشرب الخمر ويسكر، ويأتي يؤم الجماعة في المسجد حتى لقد زاد ذات يوم صلاة الصبح وصلى بهم ثماني ركعات!! قائلا أأزيدكم؟ فإني أجد في نفسي نشاطا!! وقد التقط أحد الشعراء هذه الصورة وسجلها في قصيدته

(١)سورة الحجرات آية ٦.

الساخرة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ـ ثملا ـ وما يدري
ليزيدهم خيرا ولو قبلوا منه لقادهم على عشر
فأبوا أبا وهب ولو فعلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت
ولو أنهم خلوا عنانك لم تزل تجري

هذا في الكوفة.

وأما في البصرة: فعبد الله بن عامر بن كريز وهو ابن خال عثمان. وكان شابا مترفا عمره ٢٤ سنة لما ذهب إليها بدأ ينكل بأخيارها ولما استدعي من قبل الخليفة للنقاش مع بقية الولاة حول الوضع الجديد المنتقد للخليفة عثمان كان رأيه بالنسبة للخليفة هكذا: «أرى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد

يشغلهم عنك، وأن تجمهرهم في المغازي حتى يذلوا لـك، فـلا يكون همة أحدهم إلا نفسه، وما هو فيه من دبـر دابتـه، وقمـل فروته»!!.

مصر ذلك القطر الإسلامي الكبير، من تـولى عليـه؟ عبـد الله بن سعد بـن أبي سرح أخـو عـثمان مـن الرضـاعة!! وهـذا الشخص هو الذي كان من أكثـر المـشركين عـداء لرسـول الله ﷺ، حتى أنه كان الرسول يريد أن يقتله، وقـد أهـدر دمـه!! فها هو يصبح إمام المسلمين المصريين ووالي حربهم وسلمهم!!

إرادة الإصلاح

كان أمير المؤمنين عليه السلام واضحا من البدايـة، صريحـا مـن أول الأمر، ولم يبق لأحد حجة ولا احتمالا! قـال: ألا وإن كـل قطيعة أقطعها من كان قبلي أو مال ٍ أعطاه مـن بيـت المـال هـذا كله مردود إلى بيت مال المسلمين. لا توجد مـساومة ولا تـراخٍ ولا تراجع!

لقد جاءه بعضهم (ينصحه) بأن يتريث في أمر الإصلاح، وأن لا يكون شديدا، وحازما وأن (يسايس) الوضع، فيعطي هذا ويبقي ذاك.. إلى أن يسيطر على كل الأمور وبعد ذلك يعزل ويولي ويطبق سياسته الحازمة!!

لقد كانوا يريدون من علي أن يصبح عثمان! أو معاوية وأبى علي إلا أن يكون عليا! فقال: «والله لا أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجمٌ في السماء نجما كيف لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف والمال مال الله»! إنما أنا مسترعَى على هذا المال وحافظ له، من يعطيني الحق في أن أبقي هذا الحاكم ستة أشهر إضافية؟ حتى يأكل من بيت مال المسلمين وحتى يضطهد الناس؟.

جاء له طلحة والزبير في المدينة أول الأمر عندما بويع أمير المؤمنين بالخلافة.. في الذهن مخطط ليُعرض على الإمام: البصرة لطلحة في مقابل تأييد الإمام وللزبير الكوفة.. قالوا له: عندنا مسألة نريد الحديث فيها على انفراد، وكان أمير المؤمنين

في بيت المال يحسب ما فيه... فقال لهم: في أمر خاص أو عـام؟ قالوا: بل خاص، فقام ونفخ في الشمعة التـي بـين يديـه، لمـاذا أطفأت هذه الشمعة؟ قلتم: في أمر خاص، وهذه من بيت مـال المسلمين لا ينبغي أن تصرف إلا في شؤونهم العامـة!! وكانـت تلك رسالة قرآها إلى الأخير، فالذي ليس مستعدا لأن يـصرف مقدارا من شمعة لا تساوي كسر درهم، كيف يمكن أن يساوم على مصرين من أمصار الإسلام؟

ليحصل الإصلاح لا بد من وجود عزيمة حقيقية وهذا ما أخبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بعمله وسلوكه..

تحمل تداعيات العمل الإصلاحي

والأمـر الثـاني: أن يتحمـل الحـاكم نتـائج الإصـلاح وتداعياته ، الإصلاح أشبه بعملية جراحية، والعملية الجراحية يرافقها خروج دم، ويرافقها شق وتبضيع، وهكذا..

الإصلاح عملية جراحية عامة في المجتمع تـستلزم أحيانـا

بتر بعض الأعضاء الفاسدة، وإزالة بعض الأورام السرطانية.. وهـذه لـن تقـف مكتوفـة الأيـدي، ولـن ترحـب بالعمـل الإصلاحي الجديد، بل ستشن عليـه الغـارات مـستفيدة مـن مواقعها السابقة، وقدرتها التي بنتها على الظلم والإجحاف..

وهذا الأمر هو الذي يجعل الكثير من المصلحين والهادفين يترددون فهم لا يرجحون أن يبدؤوا معركة لا تُعلـم نتائجهـا، من أجل حصول إصلاح في المجتمـع، بـل تـراهم ينـسحبون، ولهذا يستمر الفساد والفاسدون.

ويقوم غـير هـؤلاء بخـوض المعركـة، ويـرون أن الـثمن المبـذول فيهـا لـيس بـالكثير، وفي طليعـة هـؤلاء كـان أمـير المؤمنين عليه السلام فقد خـاض ثلاثـة حـروب في سـبيل الإصـلاح ودفع حياته أخيراً في سبيل إصلاح حـال المـسلمين لكـن قـدم النموذج الأكمـل في كيفيـة الإصـلاح ولـزوم دفـع الـثمن في سبيله.

المنادون بالإصلاح في بلاد المسلمين كثيرون، والمخلصون

منهم ليسوا قلة، لكن عليهم أن يفكروا بأن الإصلاح لا بد لـه مــن ثمــن.. وأمــير المــؤمنين عليه السلام يعلــم الجميــع كيــف أن الإصلاح يحتاج إلى إرادة جدية حازمة، ويحتاج أيضا إلى تحمـل تداعيات العملية الإصلاحية وقبول دفع الثمن من أجلها.

أمير المؤمنين عليه السلام حاكماً

من كلام لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وأيما رجل استجاب لله و للرسول فصدق ملتنا و دخل في ديننا و استقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام و حدوده فأنتم عباد الله و المال مال الله. يُقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد و للمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء و أفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً و لا ثوابا وما عند الله خير للأبرار».

حديثنا يتناول المساواة الشاملة في حكم أمير المؤمنين. وهو تحت عنوان علي عليه السلام حاكماً.

ونقول على سبيل المقدمة: إنه تتشكل المجتمعات البشرية من قبائل مختلفة وفي بعض الحالات من أديان و مذاهب و فرق و طوائف، و يظهر أنه لم يوجد مجتمع كبير يتشكل من طائفة

واحدة فقط أو يلتزم جميع أفراده بمنهج فكري و ديني واحد و إنما كما قال الله سبحانه و تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(١). هذه المجتمعات المتنوعة بحسب الجنس أو النسب، أو بحسب اللون، والدين و المذهب تحتاج إلى إمرة وقيادة.. تدير ذلك المجتمع باعتبار أن البديل عن الإمرة و القيادة هو الفوضى.. فلابد أن يكون لكل مجتمع قيادة وحكومة كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه لا بد للناس من أمير بَرٍّ أو فاجر».

حالتان

ثم إن هذا الأمير: تارة ينظر إلى الناس نظرة متساوية في الحقوق والواجبات و العقوبات فإذا كان لهذا المجتمع مداخيل مادية فهو يوزعها على رعيته بالعدل والإنصاف منطلقا في ذلك من أن كل واحد من أبناء المجتمع له حق ـ عام ـ يتساوى

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

مع حقوق غيره، فعلى أي أساس يتميز ذلك عنه في العطاء؟

و كذلك الأمر بالنسبة للواجبات، إذا كان المطلوب مثلا الدفاع عن الوطن من هذا الشاب من القبيلة الفلانية فنفس الأمر المطلوب من الشاب الآخر من القبيلة الأخرى.

ولا يختلف الحال في الحدود فإذا ارتكب شخصان جريمة من نوع واحد فإنه ينبغي أن يُطبق عليهما معاً نفس العقوبة المقررة لهذه الجريمة في قانون ذلك المجتمع.

فإذن قد تأتي حكومة و سلطان وأمير و يحكم ذلك المجتمع على أساس من العدالة في تطبيق القانون والمساواة في الحقوق العامة والإنصاف في إتاحة الفرص المتعادلة.

والحالة الثانية

عندما تأتي حكومة أو رئيس فيبدأ بالتمييز مثلا يرى أن عائلته لها أكثر الحقوق و ليس عليها واجبات أصلاً و لا يجب تطبيقات العقوبات عليها هذه مستثناة ثم بعد ذلك القبيلة

الكبيرة التابعة التي ينتسب إليها تعطى مقدارا أكبر من الحقوق وتخفف عليها الواجبات أو تحذف عنها، ويعمد هذا الوالي أو الحاكم إلى من يوافقه في الدين والمذهب فيسقط عنه الواجبات العامة و يلغي عنه العقوبات مثلا بينما يطبقها على من يخالفه في المعتقد الفكري و لا يعطيه حقاً و لا يهيئ له نفس الفرص التي يهيئها لغيره، وهذا ما يُصطلح عليه في هذه الأيام بعنوان التمييز.

التمييز تارة يأتي على أساس عنصري، أنا انتمى إلى الجنس الفلاني كما هي عقيدة الإسرائيليين بالنسبة إلى سائر أبناء العالم، اليهود لديهم تمييز على أساس الجنس و الديانة يقولون نحن أبناء سام، ونحن أفضل خلق الله والباقون إنما خُلقوا من أجل خدمتنا، و لذلك لو أخذنا حقوقهم و صادرنا أموالهم وأراضيهم لم يكن علينا شيء، وليس هذا الأمر جديدا بل هو قديم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[1] يعني

(١)سورة آل عمران آية ٧٥.

لا يوجد التزام أخلاقي أو قانوني تجاه هؤلاء المسلمين.

هناك مجتمعات يكون فيها التمايز بحسب اللون كما كان الحال في جنوب أفريقيا أيام نظام الفصل العنصري، حيث كان السود يعيشون حياة أشبه بحياة العبيد إلى جانب البيض! وقد انتهى هذا الحكم في السنوات القليلة الماضية.

وهكذا الحال في أمريكا وبعض الدول الغربية الأخرى، وهو وإن كان الآن غير ظاهر على السطح، إلا أنه موجود في عمق الثقافة الغربية.

وأحيانا يكون التمييز على أساس الدين و المذهب، هذا لأنه مثلا مسلم و ذلك مسيحي فإذن يُقدم هذا على ذلك في الحقوق العامة، طبعاً هناك بعض الحقوق ثابتة للمسلمين بعنوانهم (الإسلامي)، لا يصح أن تعطى مثلاً للمسيحي نفس الإمكانات التي تترتب على الديانة الإسلامية ، مثلما أنه يوجد حقوق للمسيحيين لا تكون للمسلمين، لعدم صدق العنوان.

وإنما كلامنا هو في الدائرة الإنسانية التي يصدق العنوان فيها على الطرفين بنفس المقدار. وفي دائرة الحقوق العامة.

ورابعة قد ترى التمييز على أساس المذهب، فيُقدم الشيعي على السني مثلا في مجتمعٍ و تحجب حقوقه لأن الأكثرية شيعية، أو أن الحاكمين كذلك، و قد يكون العكس بحيث تحجب حقوق الإنسان الشيعي مثلا، لان الأكثرية غير شيعية ولأن الحاكم ليس كذلك.

كل هذه كل الأنحاء، والأشكال من التمييز باطلة و غير صحيحة و لا يقرها الإسلام، لان الإسلام دين المساواة. بل لا تقرها جميع الديانات السماوية ـ في أصولها غير المحرفة ـ. هذه من الأصول الثابتة في كل الديانات على أنه لا فضل لعربي على أعجمي و لا أبيض على أسود إلا بالتقوى، من خلال اللون ومن خلال العنصر و الانتساب لا يفترض أن يكون هناك تفضيل.

والناحية النظرية الإسلامية لرفض التمييز واضحة،

ولكـن التطبيـق الأكمـل و الأشـمل إنـما حـصل أيـام أمـير المؤمنين عليه السلام وهذا ما أقر به ليس فقط أتباع علي عليه السلام بل كـل من كتب عن أمير المؤمنين سواء كان من المسلمين أو المسيحيين أعجبهم وبهرهم هذا الجانب.

في أحد منشوراتها سنة ٢٠٠٢ م تحدثت الأمم المتحدة عن علي بن أبي طالب عليه السلام كبطل من أبطال التاريخ طبق المساواة والعدالة في فترة حكمـه، واستـشهد المنـشور بعـدد كبـير مـن أقواله في هذا الشأن.

نحن نعتقد أن ذلك الفـضل عائـد لرسـول الله صلى الله عليه وآله فـإذا أثنينا على علي بن أبي طالب عليه السلام يرجع ثناؤنـا إلى رسـول الله. عندما تشرب من الساقية ماءً عذباً فانك تمدح المنبع، ومنبع كل الفضائل هو رسول الله صلى الله عليه وآله، لكن بهذا المقـدار القليـل الـذي أتيح فيه لأمير المؤمنين أن يحكم مع كثـرة المشاكل والحـروب، بيّن فيها كيف تكون العدالة. فإنه يمكن ـ أحيانا ـ معرفة حاكم في سياسته و إدارته من خـلال قـضية واحـدة فتعـرف أن هـذا

ظالم أو عادل.

آثار التمييز

١. إطلاق الأحقاد بين فئات المجتمع: إن اعتماد سياسة التمييز تطلق الأحقاد والضغائن بين الفئات الاجتماعية، فحتى لو كانت هذه الفئة هي الغالبة الآن ومارست التمييز واستلاب حقوق الفئات الأخرى، فإن الزمان لا يدوم على حال واحدة، فإنه قد تتغير الظروف وتأتي الفئات الأخرى و(كما تدين تُدان) وهذه حالة جنوب أفريقيا شاهدة فبعد سنوات طويلة من حكم التمييز العنصري على أساس اللون، انتهى الوضع السابق، ولولا حكمة بعض القادة الجدد لسالت الدماء!

ولكن الذي لم يحدث في جنوب أفريقيا حدث في مناطق أخرى منها..فانتهت تجمعات كاملة قتلا بالسيوف وحرقا للقرى!! لماذا؟ لأن هذا من قبيلة الهوتو و ذلك من

قبيلة توتسي[1]، كما تسمعون في المحطات و أجهزة التلفاز وتقرؤون عن الجرائم التي تحدث هناك على اثر انطلاق هذه الحالة للتمييز، و تبدأ القضية اليوم هذا غالب فينتقم وغداً هو مغلوب فيُنتَقم منه و هكذا دولاب مستمر يبدأ لكي لا يتوقف أبداً، و الدنيا لا تبقى على حال، من هو اليوم الغالب هو غداً مغلوب.

٢. ومن الآثار السيئة أيضا لقضية التمييز أن الكفاءات و القدرات العلمية و العملية على أثر التمييز لا تجد مكانها الطبيعي، وإنما تؤخر لسبب غير معقول ــ ككونه من اللون المعين ، أو المذهب الفلاني ـ وعندئذ يتأخر المجتمع، المفروض أن الإنسان ذا الكفاءة، في الأحوال العادية يؤتى به و يوضع في المكان المناسب بحسب كفاءته

---

(١) قتل في هذا الصراع في سنة ١٩٩٤ قرابة ٧٥٠ ألف (سبعمائة وخمسين ألف)، معظمهم من المدنيين والأطفال والنساء. كما هو في موقع الإذاعة البريطانية.

وقدرته، وعندما يشعر هذا الإنسان بأنه قد قُدرت كفاءته واحترم علمه فانه سوف ينتج و يعطي لهذا المجتمع أفضل ما لديه فيتقدم المجتمع.

أما إذا انعكست الآية أنا آتي بهذا الشخص لأنه قريبي، أو من أبناء طائفتي، أو منطقتي وأضعه في مكان لا يفقه فيه أوليات المسائل بينما أبعد الكفوء المؤهل لا لشيء إلا لأنه ليس من هذه القبيلة أو الطائفة أو المنطقة!! هذا جهل ينتج تأخرا وتخلفا اجتماعيا.

بل إنه سينعكس سلبا في المجتمع على العلم والإنتاج، فإذا حل التمييز وصار القاعدة، يتساءل الشاب: لماذا أكون عالماً قديراً؟ لماذا أتخصص في مجالات طبية نادرة؟ لماذا أشغل فكري بمعادلات هندسية عميقة؟

مادام سيكون مكاني في آخر السلم لأجل أني كذائي، لماذا أجهد نفسي؟ فتحدث حالة من تراجع الاهتمام بالعلم، وإذا حصلت هذه الحالة فاقرأ على ذلك المجتمع الفاتحة.

٣. استغلال الحالة من قبل أعداء المجتمع:

من أخطار التمييز وآثاره إمكانية استغلال هـذه الحـالات من قبل أعداء الإسلام والمجتمع، وذلـك يحـدث في الجهتـين، فإن العدو يستطيع أن يثـير الفئـة الغالبـة المميـزة، لكـي تلغـي بالكامـل الفئـة الأخـرى الـضعيفة، وفي ذلـك مظنـة الفتنـة والحروب، كما يستطيع أن يثـير الفئـة المغلوبـة والمظلومـة عـلى الفئة الأخرى، فتجد هذه الفئة في هذا النـداء طريقـا لتحـسين أوضاعها، وتستجيب له، فتحدث المشاكل.

أمير المساواة والإنصاف:

انظروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقرر قانوناً في داخل الإطار الإسلامي فيقول: «وأيما رجـل اسـتجاب لله و للرسـول صلى الله عليه وآله وسلم فصدق ملتنا و دخل في ديننـا واسـتقبل قبلتنـا فقـد اسـتوجب حقوق الإسلام و حدوده...».

له على المسلمين ما لهم و عليه أيضا ما عليهم، واجبـات و

عقوبات و أيضاً له نفس الصلاحيات و الحقوق و الفوائد التي يجنيها المسلمون بغض النظر عن رأيه المذهبي، وموقفه السياسي من الحاكم.

وهذه الخطبة قالها أمير المؤمنين عليه السلام في أول أيام خلافته وولايته الظاهرية و إلا فنحن نعتقد أنه ولي للمؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و تجب طاعته على من عداه، بمقتضى «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى! قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه».

الذي حصل أن ما جرى بعد وفاة رسول الله من تطورات أبعدت الإمام عن الموقع الطبيعي له وحدث ما حدث من مناهج مختلفة، الخليفة الأول مثلاً أتى و قسم المال بين المسلمين بالسوية، جاء الخليفة الثاني وقال لا يمكن أن نعطي من حارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كمن حارب مع رسول الله. فإذن لابد من تنظيم العطاءات و الدواوين على أساس السبق في الإسلام والجهاد، فبدأ بالذين شهدوا بدراً وأوائل المهاجرين و

الأنصار ونساء الرسول وبني هاشم.. كل واحد له طبقة ومرتبة، لكن هذا فتح بابا عريضا من المشاكل، حتى قيل أن نفس الخليفة عمر قال ـ قبل أن يُغتال ـ: لئن بقيت إلى العام المقبل لأردنّ العطاء إلى ما كان عليه.

أتى الخليفة الثالث عثمان وأحاط به بنو أمية وشرعوا كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتةَ الربيع» حتى قال بعض الكتّاب: إن مجموع العطايا التي وصلت لبني أمية في أيام الخليفة الثالث بلغت مائة وخمسة وعشرين مليون درهم!! وكان مروان بن الحكم يقول: إن السواد ـ يعني أرض العراق ـ بستان لقريش!!

وأقبل علي أمير المؤمنين عليه السلام و قرر قانونا انه من استجاب لله و لرسوله ودخل ملتنا و صلى إلى قبلتنا فهو مع سائر المسلمين له ما لهم عليه ما عليهم لا يستطيع أن يتميز عليهم بشيء، وإن كان أسبق إسلاما، وأكثر جهادا!! فإنما أسلم لله، وجاهد في سبيل الله، وهذا وإن كان يعطيه ثوابا

وجزاء إلهيا مضاعفا أكثر من غيره فإنه ﴿ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١) لكنه لا يعطيه مرتبة دنيوية استثنائية في العطاء، وإلا لكان علي عليه السلام أولى الناس بالتميز وأخذ الأموال.. ولقد كان يساوي بين نفسه في العطاء وبين غلامه قنبر!! يقول: «لا فضل فيه لأحد على أحد و للمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء». وطبق الإمام هذه السياسة على نفسه وعلى غيره.

دخل عليه الزبير و طلحة فأعطى لكل منهم ثلاثة دنانير ثم دخل عليه رجل من الأنصار وأعطاه ثلاثة دنانير، ثم جاء رجل مولى يعنى ليس قرشيا و لا عربياً وإنما أعجمي فأعطاه ثلاثة دنانير.

جاءت امرأة معها جارية أعجمية فطلبت عطاءها

---

(١)سورة الحديد آية ١٠.

فأعطاها أمير المؤمنين عطاءها ثـم أعطـى تلـك المـرأة الجاريـة نفس المقدار الذي أعطاه لتلك.

فقالت له: يا أمير المؤمنين هذه جاريتي وقد أعتقتهـا يـوم أمس و هي امرأة أعجمية!!

قال: نعم! فأعادت عليه تظن الإمام لم يلتفت.

قال نعـم ثـم أراد أن يفهمهـا بالحركـة فأخـذ قبـضة مـن التراب و فتهـا في يـده و قـال: و الله مـا وجـدت في كتـاب الله فضلا لبني إسماعيل على بنـي إسـحاق كلكـم لآدم و آدم مـن تراب.

هذه السياسة ـ بالرغم من انسجامها مع الرؤيـة الدينيـة ـ إلا أن قسما من الناس لم يتقبلوهـا، فـأعلنوا التمـرد عـلى أمـير المؤمنين. بعض الـسياسيين جـاؤوا إلى الإمـام وقـالوا يـا أمـير المؤمنين: هؤلاء الرؤساء تعـودوا عـلى عطـاءات وإقطاعـات، وملئت بطونهم من هذه الأموال فلو أجريـت علـيهم مـا كـان يجري عليهم حتى إذا استحكمت أمورك قطعت عنهم.

فقال: «ويحكم أتأمروني أن أطلب النصر بالجور والله لا أطو ربه ما سمر سمير و ما أَمَّ نجم في السماء نجما والله لو كان المال لي لسويت بينهم كيف والمال مال الله»؟[١].

وقد سن سنة أن لا يفضل أحداً لأجل قرابته: «والله لقد رأيت عقيلا[٢]، وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعا، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم[٣]، وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقا طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه.

---

(١) نهج البلاغة ٢/ ٧.
(٢) ابن أبي طالب أخ الإمام علي. وقد كف بصره في آخر عمره.
(٣) عصارة شجر أخضر يميل إلى الكدرة. وقيل إنه إلى السواد ولذا يستعمل في الخضاب.

أتئن من الأذى ولا أئن من لظى»[١].

فكان عليه السلام القريب منه و البعيد عنه بمنزلة واحدة في هذه الجهة بل حتى مخالفوه وأعداؤه كانوا يطمعون في عدله، يعلمون انه لا يرتكب منهم ظلماً ولا تمييزا مثل ابن ملجم وعناصر الخوارج بقوا مدة في الكوفة و هم في مجالسهم وهم يسبون علياً و يتكلمون عنه بل يأتي أحدهم إلى المسجد و يقرأ القرآن الكريم بصوت عال و يقول: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢] فسكت أمير المؤمنين عليه السلام وأراد أن يكمل فأعادها عليه مرة أخرى فسكت عنه و هكذا لم يقابلهم الا بما كان من طينته و طريقته.

رجل يسمى أبو العيزار الطائي من الخوارج كان يسب أمير المؤمنين عليه السلام و يشتمه جالساً و قائماً وفي كل مكان

(١) نهج البلاغة ٢/ ٢١٧.
(٢) سورة الزمر آية ٦٥.

فقالوا: يا أمير المؤمنين فلان يسبك!! قال: فليفعل، قالوا له: إنه يتهددك!! قال: فليفعل قالوا: احبسه يا أمير المؤمنين! قال كيف أحبسه ولم يرتكب جناية؟.

مثل هذه القصص في عالمنا الإسلامي تعتبر خيالية، فإن هذا العالم القائم على الاعتقالات الظنية والوقائية لا يستطيع أن يفهم: فليفعل! وأنه كيف أحبسه ولم يرتكب جناية!

كان أمير المؤمنين يساوي بين أصحابه وبين أعدائه الخوارج الذي رفضوا حكمه وشهروا عليه السلاح أخيرا، ها هو يجري لهم عطاءاتهم كما يجري لأفضل أنصاره، عبد الرحمن ابن ملجم أتى يبايع عليا واستلم عطاءه!! و علي يقول له:

أريد حياته و يريد قتلي عذيرك من خليك من مراد

بل أمام القانون لا يختلف الحال عنده بين رجل نصراني وبين مسلم، بل حتى خليفة المسلمين! فإنهم يذكرون أن يهوديا قد أخذ درع أمير المؤمنين فرآها الإمام عنده، فقال له: يا هذا

الدرع لي! فقال النصراني: لا بل درعي!

قال له: فلنذهب إلى القاضي، فذهبا إلى قاضي أمير المؤمنين عليه السلام والمعين من قِبله فالتفت إليه سائلا: ما بينتك على ما تقول؟ ولما لم يكن للإمام بينة حاضرة حكم القاضي بها لليهودي، وأخذها! ولم يستعمل وضعه الرئاسي أو منصبه في تغيير هذا القانون!

بل كان يرفض حتى التمييز في الكنية أمام القانون! فقد استعدى أحدهم عليه لدى الخليفة عمر بن الخطاب فالتفت إليه عمر وقال: يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فتغير وجه علي عليه السلام، فقال له عمر: مالي أراك متغيرا؟ أكرهت ما كان؟ قال: نعم! فقال له: وما ذاك؟ قال عليه السلام: لأنك كنيتني بحضرة خصمي، هلا قلت: قم يا علي فاجلس إلى جانب خصمك؟[1].

هكذا كان أمير المؤمنين في فترة حكمه، ولذلك فإن فترة

(١) شرح نهج البلاغة ١٧ / ٦٥.

السنوات الخمس على قلتها عددا، أصبحت ساحة عظيمة لدراسة الدارسين و بحوث الباحثين و تحليلاتهم باعتبارها مدرسة كاملة لحكم الإسلام.

واقعنا الاجتماعي في ضوء هدي الإمام

ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «و الله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا ، أو أجر في الأغلال مصفدا أحب إلي من أن ألقى الله ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من الحطام وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البِلى قفولها ويطول في الثرى حلولها، والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن اعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته»[1].

في ذكرى أمير المؤمنين نفتح قلوبنا على شيء من سيرته وأعيننا على جانب من عمله وآذاننا على بعض أقواله، لعل ذلك يؤثر في قلوبنا فتزداد إيمانا ويؤثر في أعمالنا فتزداد استقامة ويؤثر في حياتنا فنزداد بها قرباً إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) نهج البلاغة ٢/ ٢١٦.

وأمام ذلك نعـرض أمـام أمـير المـؤمنين حالنـا نقـول لـه مولاي يا أبـا الحـسن، مـولاي يـا أمـير المـؤمنين هـذا ضـعفنا وعجزنا وهذا عجزنـا وبجرنـا فنـسأل الله سـبحانه وتعـالى أن يتعطـف علينـا ويعيننـا عـلى الاقتـداء بـسيرتك وعـلى اتّبـاع منهجـك، أن يرزقنـا الـورع والـسداد، وأن يعطينـا العفـة، والاجتهاد ، وأن يقربنا قليلا من ضياء بصيرتك حتـى نتعـرف إلى الطريق الصحيح.

نعرض صوراً من واقعنا الاجتماعي البائس الذي نعـيش فيه، ليكون ذلك نقداً لذاتنا ومحاولة لتغيير ما عليه أنفسنا..

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عنـدما يبـين شـيئاً مـن صـفاته فليس ذلك لأجل الفخر والتباهي، فـإن الـدنيا كلهـا عنـده لم تكن بمقدار قضمة من ورقة في فـم جـرادة تقـضمها، فكيـف يبحـث عـن الفخـر؟ لـو كانـت الـدنيا كلهـا في يـد أمـير المؤمنين عليه السلام لما باعها بفردة نعل ممزقة خلقـة، فكيـف يبحـث عن التباهي؟ إنما يبين هذه الجهات من شخصه الكـريم، ومـن

ذاته القدسية، من أجل أن يعرف أتباعه ما الذي أوصله إلى قرب الله ﷻ، وما الذي جعله حبيب الله وحبيب حبيب الله رسوله ﷺ.

«والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا»، حسك السعدان نوع من الشوك مدور وقاسٍ من أي مكان أصابك شاكك وآلمك بل قيل إنه إذا وطأه الماشي عقره!! لأن أبيت نائماً على هذا النوع من الشوك وأنا منتبه لذلك وأحس بالألم والوجع، أو أجر في الأغلال والقيود مصفداً ومربوطاً، هذا أحب إلي عند الله من أن ألقى الله يوم القيامة وأنا ظالمٌ بعضَ العباد أو غاصب لشيء من الحطام، ثم يقول عليه السلام ولماذا أظلم أحدا؟ لماذا أغصب أحداً حقه؟ وهل تسوى القضية ذلك؟ لمن؟ لنفس تسرع إلى البِلى والنهاية وإلى العدم والموت، أيام تمر على الإنسان، وسنين تنقضي ما إن ينتبه لنفسه إلا وأوشك أن تقبض روحه وأما جنازته فإنه (يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها) تبقى في تلك الأرض حتى تتحلل وتندثر وتمزق كل ممزق وتصبح مسرحاً وألعوبة لحشرات الأرض

وهوام الثرى تلعب فيها يمينا وشمالاً من غير مانع.. أهذا آخر الأمر الذي تغتصب الدنيا من أجله أو تظلم العباد من أجله؟

هذه صورة ولننتقل إلى واقعنا الاجتماعي، حيث ترى الكثير من المظالم في العلاقات بين الزوج و زوجته في داخل العائلة في خارج العائلة حيث المجتمع التعدي على الحقوق، التعدي على الأموال، اغتصاب حقوق الآخرين، يتحدث الإنسان عنها حتى يمتلئ فمه بالحديث وقلبه بالغصة والألم.

كنت في اتصال مع أحد العلماء فقال لي اتصلت بي امرأة، وقالت لي وهي تبكي في التلفون زوجي متعود على ضربي كل يوم إلى درجة أنني في بعض الأيام احتاج إلى أن أراجع المستشفى للعلاج من ضربه!!

هل هذا من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام؟. هذه المرأة أمانة في يدك أيها الرجل، «اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة»، «من مد يده لزوجته ليلطمها فكأنما مد يده إلى النار» ، ما هو الغرض؟ «لنفس يسرع في البلى قفوها...» لغضب عابر

ولسيئة قامت بها مثلا، لسوء خلق عندها لكن القضية لا تسوى هذا الأمر، ائتمنك الله سبحانه وتعالى على أهلك. أنت راع ، الراعي لا ينتقم من رعيته وإنما يحرص عليها ويؤدبها ويعلمها، ويصبر عليها إلى أن يأذن الله بتغيير حالها .

وهذه الصورة ليست صورة منفردة..أيها الإخوة، قبل مدة من الزمان تتصل بي إحدى النساء وتقول زوجي يطردني من المنزل وأنا لا أستطيع أن أذهب بكسرة نفسي إلى أهلي ولا أريد أن يعلم بذلك فأظل أدور في الشوارع المحيطة إلى وقت متأخر من الليل حتى يبرد غضبه وأرجع وأنا مكسورة ومهضومة. ماذا لو حدث لي حادث في الشارع؟

أهذا ممن يصنف في خانة أتباع أمير المؤمنين، لو كان علي في هذا المقام ماذا كان يصنع؟ أتريد أن تعرف؟

يرجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى داره في الكوفة، وعند باب داره بعد صلاة الظهر في عز حرارة القيظ يجد امرأة قد وضعت رأسها بين ركبتيها فيأتي إليها: أمة الله ما جلوسك هنا؟ فتقول

له زوجي طردني من المنزل وضربني وهددني بـألا أعـود، فـإن شئت يا أمير المؤمنين أن تسعى بيني وبينه، قال الآن في عز هـذا القيظ ادخلي إلى الدار واستريحي قليلا ريثما يمـضي حـر النهـار ثم نعود، فقالت له باكية: يا أمير المؤمنين إذن يشتد غضبه علي!

فقال لها إذا كان كذلك فامضي إلينا إليه يذهب معها إليـه فيخرج إليه شاب يسلم أمير المـؤمنين: الـسلام عليـك ورحمـة الله! فأجاب وعليك السلام مـا شـأنك؟ قـال جئـت إليـك في شأن زوجتك هلا أدخلتها إلى الدار؟ قـال ومـا شـأنك أنـت؟ والله لأحرقنها لأجل دخلك في أمرنا!!

فـسل أمـير المـؤمنين عليه السلام سـيفه وقـال ويحـك آمـرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتقول لي لأحرقنها، لـئن لم تردهـا إلى الدار فرقتك نصفين وأنا أبو الحسن، لما سمع الشاب قولـه: «وأنا أبـو الحـسن» وفي هـذه الأثنـاء مـر جماعـة وعرفـوا أمـير المؤمنين سلموا عليه بإمرة المؤمنين انهار هذا الشاب وخـر عـلى قدمي الإمام يقبلهما يا أمير المؤمنين: اعـف عنـي لم أكـن أعلـم أنك أنت، ارض عني.

قال له: ما أرضاني عنك إن أنت أصلحت أمرك! ارجع أمة الله بيتك فإنها أمانة الله عندك! ثم التفت إلى المرأة وقال لها يا أمة الله لا تجعلي زوجك يركب منك هذا المركب أحسني أخلاقك معه.

أحيانا لا يكون اللوم كله منصباً على الزوج، المرأة أيضا قد تكون بسوء خلقها وبإثارتها زوجها سبباً. لكن حديثنا للأزواج أكثر لأن لهم القوامة وهم الرعاة وهم المسئولون، كيف تدير هذا البيت الذي تعيش فيه مع هذه الزوجة؟ الضرب يستطيع فعله حتى الحيوان، بل إنه أقدر من الإنسان على الضرب والعض بل وإسالة الدماء بمخالبه، لكن ميزة الإنسان في عقله، ميزته في إدارته وفي طيبة نفسه.

هذه صورة من واقعنا الاجتماعي مع الأسف الشديد.

أما الحقوق المالية

أصبح مجتمعنا مع الأسف في كثير من معاملاته المالية

مجتمعاً موبوءً فاسداً وترى الجميع يضج، يقترض المال وإذا بـه يمر عليه الشهر والشهران والسنة والسنتان والعشر وأكثر مـن ذلك وقد يكون متمكنا ومليئاً قادراً على تسديد دينه ولكنـه لا يفعل يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لـيس ولي عـلي مـن يأكـل الحرام» هذا الإنسان الذي يقترض ولا يسدد مـع قدرتـه عـلى ذلك ويستأجر ولا يعطي أجرة مـع قدرتـه عـلى ذلـك، ويبيـع ويشتري ولا يرد الحق لغيره مع قدرته على ذلك هـذا الإنـسان بعيد عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أمير المؤمنين عليه السلام.

الإمام علي قد يقاتل في حق درهم واحد إحقاقاً له، وهـذا الإنسان يقترض مائة ألف ويأكلها كما لو كان يأكل ميراثـاً مـن أبيه.. كيف يكون هذا ولياً لعلي؟ وكيف يكون هذا تابعاً لأمـير المؤمنين؟ نحن أيها الأخوة نحتاج إلى أن نرجـع إلى سـيرة أمـير المؤمنين لا نستطيع أن ننسخ منه أنفسنا، «ألا وأنكم لا تقدرون على ذلك» ولكن لا بد من المشابهة والمجانسة ولا بد أن يكـون الإنسان على خطى مولاه.

فيمَ نشبه أمير المؤمنين إذا كنا نظلم أهلنا ونظلم غيرنا ونسرق أموال الآخرين، السرقة ليست أن يذهب شخص ويكسر الباب ويسلب المال من داخل الصندوق، السرقة يعني أن تستأجر من شخص شيئاً ولا تسدد إليه مع قدرتك على ذلك. من كان هكذا ينبغي أن يقتدي بالسراق فيكون مولاه من كان سارقاً في تاريخ المسلمين، وليس مولاه من كان أمير المؤمنين، الإمام يقول: إن ألم المبيت على حسك السعدان والتقييد بالقيود بأصفاد الحديد هذا أهون عنده وأحب عنده من أن يلقى الله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من الحطام.

سوف يدرك الإنسان في يوم من الأيام أن القضية لا تستحق، ولكن يفوت الأوان حينئذ، فمن الآن لا بد أن يفكر في نفسه، إذا كان من أجل شهوة نفس يظلم أهله ومن أجل راحة مؤقتة يظلم غيره.

أحدهم كان مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: إني أريد أموالاً. هذا العطاء الذي تعطيني إياه لا يكفيني. فقال له الإمام: مهلاً ريثما يخرج عطائي أعطيك إياه!

قال: وما قدر ما يصنع عطاءك لي؟

قال عليه السلام: ليس لك إلا ما لسائر المسلمين!

فخرج ذلك الرجل من عند أمير المؤمنين وذهب إلى معاوية، فلما وصل إلى معاوية أغدق عليه من الأموال فكتب لأمير المؤمنين أني ما أن فارقتك وأتيت إلى الشام، استقبلني معاوية أحسن استقبال وأفرغ علي من الأموال كذا وكذا. فكتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد، فإن ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك، وهو سائر إلى أهل من بعدك. فإنما لك ما مهدت لنفسك، فآثر نفسك على أحوج ولدك، فإنما أنت جامع لأحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعة الله، فسعد بما شقيت، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله، فشقي بما جمعت له، وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك، ولا تبرد له على ظهرك، فارج لمن مضى رحمة الله، وثق لمن بقي برزق الله[1]..

(١) مستدرك سفينة البحار ـ الشيخ علي النمازي ج ٩ص ٣٨ .

هذه صور مع الأسف من واقع مجتمعنا، كل واحد منا يحتاج إلى إعادة النظر في أمره، يحتاج النظر في علاقاته، هل يظلم أحداً؟ في أموره المالية هل أخذ من أحد حقاً من غير مبرر شرعي؟ وذلك حتى نستطيع أن نقتدي في أمورنا ببعض ما كان لدى علي عليه السلام هذا الصورة الكاملة الذي فقدته الأمة، وفقدت بفقده صورة رسول الله حيث كان في وقته ممثلاً في فعله وسيرته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك بقى ألم فقده في نفوس أتباعه والعارفين بحقه مدة طويلة من الزمان، أبو الطفيل عمرو بن واثلة بعد عدة سنوات من شهادة أمير المؤمنين يدخل على معاوية، فيسأله معاوية عن أمير المؤمنين.. وآخر سؤال يسأله فما قدر حزنك عليه؟ قال: والله حزن أم ذبح وليدها الوحيد في حجرها فلا ترقا دمعتها ولا تسكن عبرتها لماذا؟ لأنهم رأوا فيه مثال العدل.

في رحاب وصية الإمام علي عليه السلام

جاء في وصية أمير المؤمنين لولديه الحسنين بعدما ضربه ابن ملجم: «أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما. وقولا بالحق. واعملا للأجر. وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما ﷺ يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» والله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم. والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم. والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم. والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا. والله الله في الجهاد بأموالكم

وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله. وعليكم بالتواصل والتباذل. وإياكم والتدابر والتقاطع. لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[١].

الوصية من الأمور التي تعارفت عليها المجتمعات و أكدت عليها الأديان. ويهتم الناس عادة بوصية الإنسان الذاهب اهتماماً استثنائياً، ويتساءلون عنها: ماذا قال أخيراً؟ ما هي آخر كلماته؟ بماذا وصى؟

وذلك لأن الإنسان عندما تنقطع آماله من الدنيا وتقصر حباله عنها لا يستطيع أن يهتم بكل شيء بعده، بل يتذكر أشياءه الأكثر أهمية والأقرب إلى نفسه، والتي يؤذيه أن تُهمل، ولهذا تُعرف اهتمامات المرء في هذه اللحظات، والقضايا التي تشغل تفكيره في هذه الأوقات، (آخر ساعات الحياة)!

ويُقيَّم الإنسان بناء على هذا، لاحظوا مثلاً أنه يُخلد موقف

---

(١) نهج البلاغة ج ٣ص ٧٦.

سعد بن الربيع في وصيته لقومه الأنصار برسول الله آخر لحظة من لحظات حياته، ذلك أنه «لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ يومئذ من يأتيني بخبر سعد بن الربيع فقال رجل أنا فذهب يطوف في القتلى. فقال له سعد: ما شأنك قال بعثني رسول الله لآتيه بخبرك!

قال: فاذهب إليه فأقره مني السلام وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وأني قد أُنفذت مقاتلي وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قُتل رسول الله ﷺ وأحد منهم حي!!».

وقد قيل إن الرجل الذي ذهب إليه أُبي بن كعب قاله أبو سعيد الخدري وقال له قل لقومك يقول لكم سعد بن الربيع: الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة فو الله ما لكم عند الله عذر إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف قال أُبي فلم أبرح حتى مات فرجعت إلى النبي فأخبرته فقال رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا.

هذا الإنسان وهو ينقطع عن الدنيا يمر عليه شريطُ ما

أهمه في كل حياته من ولده وزوجته و ماله و أقاربه و أرحامه و مصالحه و غير ذلك، لكن كل هذا لا يجد فيها شيئا مهما، بمقدار أهمية وصيته قومه برسول الله ﷺ أن يحفظوه، هذا نموذج خاص يشعر بأهمية الرسول والحفاظ على حياته.

كذلك مثل مسلم بن عوسجة عندما سقط صريعاً وبه رمق ذهب الحسين و حبيب إليه، فوجد حبيب أن مسلماً يحرك شفتيه جاء إليه و قال لولا أعلم إني في الأثر لأحببت أن توصيني بما أهمك! فأشار إليه مسلم و قال: أوصيك بهذا و قضى نحبه.

هذه الوصية يعني أن الحفاظ على الحسين و الدفاع عنه كان أهم و أبرز قضية في ذهن هذا الإنسان.

الوصية في تكييفها الشرعي

الوصية تارةً تكون واجبة و أخرى تكون مستحبة، تكون واجبة إذا كان على هذا الإنسان ديون لله أو ديون للناس، وكان

ترك الوصية بها موجبا لتضييعها وعدم قضائها، فمن الأول ما إذا عليه حج واجب تركه،أو كان لله عليه حق مالي كخمس ماله أو كفارات، أو زكاة.

ومن الثاني ما إذا كان عليه حقوق للناس كديون لم يسددها، أو هِبات منجزة.. وهكذا لو كان له على آخرين حقوق وأموال، لم يبرئهم إياها وكان عدم الوصية بها وترك الإخبار عنها سبباً لفواتها على الورثة فإن هذه الأموال بمجرد موته تصبح في ملك الورثة ومن حقهم فلو لم يذكّر بها ولم يخبر عنها سبب ذلك فوات أموال الورثة و حقوقهم و هذا لا يجوز و لذلك يلزمه أن يوصي.

وأما في غير هذه الصور فإنها مستحبة ففي القرآن الكريم، يوصي ربنا سبحانه المؤمنين بذلك مبينا أنه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[1] وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما ينبغي لامرئ مسلم أن يبيت ليلة إلا ووصيته تحت

(١) سورة البقرة آية ١٨٠.

رأسه»[1]

وهي منطق العقلاء ممن يهمهم أمر ما بعد وفاتهم، فما دام الكل يعرف أنه راحل ولا يعلم متى توقيت ذلك، فمن الحكمة أن يبادر للوصية بما أهمه، وإلا دهمه الأجل في وقت لن يكون بإمكانه التفرغ لذكر وصاياه!

أمير المؤمنين عليه السلام يوصي بوصيته هذه في أواخر أيام حياته، طبعاً هناك وصية خاصة مثل وصيته بصدقاته ماذا يعمل فيها وهناك وصايا عامة وهو الذي يرتبط وهو ما صرح به «أوصيكما و جميع ولدي و من بلغه كتابي هذا». يعني أن ما يرد في هذه الوصية هو الرغبة الأخيرة لأمير المؤمنين عليه السلام، هل تريد أن تحقق رغبة الإمام علي ؟ هل تريد أن تمارس ما أوصى به علي؟

نصرة المظلوم وحرب الظالم

أولاً : الإمام يوصي ابنيه و من بعدهم المؤمنين بمحاربة

(١) ميزان الحكمة ٤/ ٣٥٥.

الظالمين ونصرة المظلومين. لا تستطيع أن تعيش في حياتك هكذا بعيداً المعادلة، ما دامت الشريعة لا تُحكَّم بالكامل فلا بد أن تكون هناك موارد يحصل فيها الظلم فتجد فيها عاتياً ظالماً و معذَّباً مظلوماً، البقاء على الحياد أمام هذه الأمور ليس مقبولاً. قد تستطيع أن ترد الظلم، و قد لا تستطيع ذلك و لكن بقاءك محايداً هو غير صحيح عند أمير المؤمنين عليه السلام، الإمام يعلم أن الحسنين لا يستطيعان أن يحاربا كل أنواع الظلم في كل مكان وأن ينصرا المظلومين في كل مكان بالفعل. تعدد الأماكن وتعدد الظلامات تمنع أن يقوم الحسنان برد كل أنواع الظلم و بردع كل الظالمين، لكن الإمام يعين بعض المواقف الأساسية وأن تكون للظلم محارباً و أن تبقى له مجانباً، و بالنسبة للمظلوم أن تكون نصيراً و معيناً بحيث لو وصلت يدك إلى ذلك المكان و أطلق الأمر لك لكنت ترد الظالم بالفعل. هذا يعني أن يكون في قلبك ميلٌ للمظلوم أنى كان موقعه سواء وصلت إليه أو لم تصل إليه، و سواء استطعت نصرته أو لم تستطع، وأن تكون

محاربا للظالم، سواء استطعت إظهار هذا الموقف أو لم تـستطع، سواء قدرت على رد المظلوميـة فعـلاً أو لم تـستطع.. وإلا فـإن أمير المؤمنين عليه السلام لا يكلف بأمر لا يطاق أو لا يستطاع، يقول لك دع في نفسك هذه القابلية بحيث لو وصـلت فإنـك تـردع الظالم وتنصر المظلوم.

الأمر الثاني: الاهتمام بالقضايا العبادية

«الله الله في الصلاة فإنها خير العمل، و إنها عمود ديـنكم، الله الله في القـرآن فإنـه كتـاب ربكـم لا يـسبقنكم بالعمـل بـه غيركم، الله الله في بيوت ربكم ألا لا تخلـون مـنكم...». و هنـا عندنا ملاحظات مع الأخوة.

شهر رمضان والأيام مباركة وحضور كثـير مـن الـشباب إلى المساجد في صلوات الجماعة غير ملحـوظ، مـا هـو العـذر؟ النوم هل يكون عذراً عن صلاة في شهر رمضان جماعة؟ تعالوا و انظروا إلى سائر الناس كيف يهتمون بـصلاة الجماعـة و أنـتم أولى بالاهتمام. بعض الناس يسألون مثلاً كيف أن أمير المؤمنين

يحتمل أنه سوف يقتل في يوم غد؟ و كيف يذهب إلى المسجد و أنه يحتمل أن يقتل؟ طبعاً هذا بحث عريض الـذيل و طويـل و مفصل إذا كنا سـوف نبحـث فيـه فـلا بـد أن نبحـث في علـم الأئمة[1] وما شابه، لكن سوف نستفيد من هـذا المعنـى، لـو أن الإمام عليه السلام مارس ما نمارسه نحن يعنـي بـدون سـبب يـترك صلاة الجماعة أو إذا احتمل أن هناك مشكلة سوف تحدث يترك المسجد، كيف يكون حجة على الناس؟

ما يمكن أن نستفيده من هذه الحادثة، من درس هـو: أيهـا المؤمن لاحظ أمـيرك وإمامـك كيـف أنـه مـع احـتمال الخطـر والموت، يذهب الى صلاة الجماعة!!

هل يليق بشاب من اتباع علي عليه السلام وهو في صحة كاملـة من بدنه وفي فراغ من شغله أن لا يأتي لـصلاة الجماعـة متعـذرا بانه كان نائما مثلا؟ صلاة الجماعة و فضلها و الصلاة في المسجد و فـضلها، و الـصلاة في شـهر رمـضان في المـسجد جماعـة و

---

(١) يمكن مراجعة كتاب من قضايا النهضة الحسينية ج١ للمؤلف.

فضلها، كل هذا لا يحتاج إلى حديث فلماذا نجد هـذا التقـصير، هل نسينا وصية أمير المؤمنين؟

أوصى بالـصلاة و أوصى ببيـوت الله، بالمـساجد، فـإن المسجد يأتي شاكيا مـن ضـمن الـشكاة يـوم القيامـة.. لا سيما وأنت جار المسجد،

أمير المؤمنين يوقظ قاتله للصلاة، أنت تابع أمـير المـؤمنين لا تسمع صوته و لا تسمع نداءه، قوموا إلى الصلاة رحمكـم الله ليس ذلك اليوم فقط قالها أمير المؤمنين و انتهـت، اليـوم أيـضا صـوت أمـير المـؤمنين: «الله الله في بيـوت ربكـم ألا لا تخلـون منكم، الله الله في الصلاة..» نحن نقول خير العمل، أليس هـذا خير العمل، فاستزد منه!

الأمر الثالث: التأكيد على الجهاد بالمال والنفس

«الله الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم».

ربـما الظـروف في مكـان مـا لا تـسمح للإنـسان بالجهـاد بنفسه، الوضع ليس وضعا يتطلب القتـال لنـصرة الإسـلام في

مكانه بحيث يضطر للجهاد بنفسه، لكن هل تريد علامة على من يجاهد بنفسه أو لا، انظر لمن يجاهد بماله، فإذا كان بالفعل يتخلى عن ماله بطيبة نفس في سبيل الله فإن هذا الإنسان من الممكن أن يتخلى عن نفسه في سبيل الله، أما إذا كان شحيحا في ذات يده مغلقا للفضل من عنده فإن هذا الإنسان يبعد جدا أن يتصدق بنفسه و أن يضحي بمهجته. انظر إلى المؤسسات التي في مجتمعنا لماذا تشكو هذا الحالات من التأخر و التراجع، الجمعيات مثلا تقوم بخدمة الأيتام و الفقراء، و مساعدة الناس الذين يتأخرون عن المدارس، و التطبيب و العلاج و ما شابه ذلك، لكن انظر إلى مدى مساهمة كل فرد في هذا الجانب، نعم هيأ الله لكل مثل هذه الأعمال أشخاصا جزاهم الله خير الجزاء يقومون بصرف بعض عمرهم و وقتهم و جهدهم في هذا الجانب، وآخرين ممن رأوا أن ما يبقى لهم من المال هو ما ينفقونه في هذا السبيل، وما يضيع هو الذي لا ينفق، فدعموا وأعطوا.. كثّر الله أمثالهم.

لذلك لا بد من الاهتمام بهذا الجانب، جانب الجهاد المالي في يرتبط بالمشاريع و القضايا العامة.

لتكن لدينا حالة من التوجيه إلى الصدقة، و الحث على المبادرة بها، ليحس الجميع بمشاركته تجاه القضايا العامة و الخيرية و مشاريع النفع العام، بحيث لا نحتاج إلى جمع الأموال في المساجد و الحسينيات في المستقبل القريب إن شاء الله.

الأمر الرابع: الاهتمام بالأيتام

قوله عليه السلام: «الله الله في الأيتام ألا لا تغبوا أفواههم و لا يضيعوا بحضرتكم».

يركز الإسلام صيانة الوضع الاجتماعي لدى المسلمين بحيث لا يكون في المجتمع ثغرات، وتصدعات، ولذلك تجده يولي عناية خاصة بمواطن الضعف و مواقع الثغرة في المجتمع. مثلا يركز على منع العنف ضد المرأة الضعيفة، بل يقول اغفر لها إذا أساءت، تحملها و أعنها. إن من العيب على الإنسان أن يصب جام غضبه على الضعيف «الله الله في الضعيفين اليتيم و المرأة» كذلك بالنسبة للأيتام، الأيتام أيضاً من نقاط الضعف، فمع أن سنة الموت جارية على كل أحد، ولكن إذا فقد الإنسان

أباه بعدما أصبح كبيراً واعتمد على نفسه، تخف الوطأة أما إذا لا سمح الله كان لا يزال في بداية عمره، أو هو صغير لم يبلغ و فقد في هذه الحال أباه بالفعل هذا الولد يصبح أشبه بشجرة تتقاذفها الرياح و العواصف. الإمام أمير المؤمنين يقول:

ما إن تألمت في شيء رزءت به

كما تألمت للأيتام في الصغر

قد مات والدهم من كان يكلؤهم

في النائبات وفي الأسفار والحضر

لا شيء يهز هذا الرجل الذي هز باب خيبر، كبكاء الأطفال، كأن قوة مغناطيسية تسحبه نحو مصدر الصوت.. طرق الباب، وخرجت امرأة سألها:

- ما بال الأطفال يبكون؟! فأجابت.

- أضر بهم الجوع والبرد!! والتفت الإمام فإذا في ناحية الدار قدر تحت نار مشتعلة فسألها:

- وماذا في القدر؟! قالت:

- لاشيء غير الماء.. أخدعهم به حتى يناموا!!.

وأسرع؛ وأسرع معه قنبر إلى بيت المال، وحمل جراباً من الطحين وشيئاً من الدهن وعادا.. وبينما أراد قنبر أن يحمل عن الإمام الجراب أبى ذلك لأن (صاحب العيال أحق بحمل طعامهم).. ولم يكتف بذلك بل أخذ يصنع لهم الخبز، ثم أطعمهم وخرج!![1]

(١) ذلكم الإمام علي، السيد هادي المدرسي.

للمؤلف

١. طلب العلم فريضة

٢. الهجرة مستقبل أفضل

٣. حجر بن عدي الثائر الشهيد

٤. مفهوم التقية في الإسلام

٥. عن الجهاد والثورة عند أهل البيت

٦. بناء القادة في منهج أهل البيت

٧. الحياة الشخصية عند أهل البيت

٨. نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية

٩. التشكيك.. كيف واجهه أهل البيت

١٠. رجال حول أهل البيت (١-٢)

١١. نساء حول أهل البيت (١– ٢)

١٢. من قضايا النهضة الحسينية (١ـ ٣)

١٣. شيعة القطيف والأحساء: عراقة وتطلعات

١٤. تأملات في آية الظهور: دعاء الندبة

١٥. الإمام علي وجه الإسلام الحضاري (بين يديك)

المحتويات

لتلقي ملاحظات القراء الأفاضل واقتراحاتهم يمكن الاتصال بالمؤلف:

www.al-saif.net
fawzialsaif@hotmail.com